الرجل الناجح

تأليف

فخري يوسف سمر

obeikandl.com

مقدمة

الرجل الناجح ذو الشأن الخطير لا يوجد ارتجالا ولا تكونه ذاته إلا عمل الزمان ومهما تكن مواهبه الطبيعية يلزمه أن يرقيها إلى أعلى مراتب النمو والإثمار بتثقيف مستمر لأن استكمال الانسان لخلال الرجولية يقتضي في كل عصر الارادة القوية والعلم النافع والايمان الوطيد والعمل المتواصل مع قمع الأهواء والاهتمام بالصحة .

وجنوح نفس الانسان ليصير رجلا يجوز أن يخطر بالبال ويتحقق بالوجود في كل سن غير ان هذا الميل ينبغي أن يكون خاصة عند الشبيبة التي تتفتح أمامها أبواب الرجاء والامل في المستقبل .

« أليست الحياة الجميلة فكراً ساميا للشبيبة يتحقق في سن الرجولية ؟ »

ألا تعترف معي بالهتافات الكثيرة التي تتعالى من كل ناحية تطلب رجالا تنهض بواجباتها على أكمل وجه وأعلاه ، وتنزع نفوسهم الكبيرة للتحلي بالصلاح ورسوخ الاعتقاد . ويحبون أن يكونوا ذوي شأن أدبي خطير حتى إذا كانوا أرباب أعمال إدارية يضحون قوات اجتماعية حقيقية تتوافر فيها الخلال الانسانية النبيلة ؟

والحقيقة أن الشعوب فى جميع أنحاء المسكونة زادت أو قلت إنما لا يقودها فى كل أمة إلا نخبة تنظم الوسط وتقوده وتعدله أو توجده . وحياة الرجال الكبار قدوة لغيرهم وهى بمثابة مرآة يرون فيها ما يسعهم أن يكونو .

المؤلف

oberkandl.com

تمهيد

النجاح :

غاية سحرية تستهوى الالباب وتستميل العقول بالجاذبية الكامنة فى معانيها إلا أنها فتاكة بطشت بالكثيرين من الذين طلبوها من غير بابها وتركتهم هيا كل تسبح فى فيافى هذا الوجود . وهو قوة تهتز لها النفوس الكبيرة القوية فتبدد أمامها غياهب الظلام المخيم على وادى الحياة بنورها حيث يكثر الفشل ويشتد الشر وحب الذات والجشع المتناهى وغير ذلك من الصفات التى شوهت محاسن الرجولة وكادت تقضى على كل ما هو جميل فيها وتتركها على مستوى الحيوانية

النجاح قاموس عامر بالمعانى البليغة ظهرت فى أفخم صورها للكثيرين من الذين كانوا يظهرون لاخوانهم فى الانسانية أنهم قابضون على ناصيته بيد أنهم مجردون من كل عناصره فسقطوا وكان لسقوطهم دوى عظيم فحذار من بطش هذه الغاية وفتكها إذ أن قتلاها يفوقون قتلى السيف .

والنجاح لايكون واحداً باعتبار الجميع لانه يترتب على استعدادات خاصة ومتفاوتة غير أنه على كل إنسان أن يعتقد كون الزيادة فى قدرته على النجاح ممكنة وفى متناول يده إذا أحسن الظن بنفسه

وأعتقد أن فى استطاعته بلوغ الدرجات الرفيعة والاقدار الخطيرة لان العالم يفسح مجالا للرجل الذى يعقد النية على ادراك مبتغاه والذى يزدرى بأشد الصعوبات التى تعترضه فى سبيل تحقيق أمانيه والذى لا ينكر على نفسه المقدرة التى أودعها فيه الخالق يوم أرسله الى هذا العالم ليترك فيه أثار عزة نفسه وقلبه الكبير الخافق على الدوام لفعل الخير وهو سائر فى طريقه من المهد الى اللحد .

نصائح :

إذا أردت أن ترقى درجات النجاح وتتسور شرفات العز والشرف تقلد الحق والاستقامة والذمة الطـــاهرة والضمير الحى ولا تسمح للأفكار السوداء أن تطرق ساحة عقلك ، أنك تعس قليل البخت عديم الحظ وبائس ، انكر ذلك بشدة وعود نفسك وهذبها على عدم الاعتراف بالضعف وعلى عدم التفكير فى العيوب الادبية والجسدية أو العقلية .

انكر أنك ضعيف لا تستطيع أن تعمل عملا ما يعمله الآخرون وانك مغلول اليدين فترضى من دهرك بالدون فى موقف من مواقف الحياة .

اخنق كل شك يتسرب اليك واقتله قبل أن يقتلك .

لا تفكر ولا تتكلم أو تكتب عن فقرك أو عن التعاسة المحيطة بك .

احذف من حياتك كل ذكر يقيم لها حدوداً أو يعوق نموها أو يلقى عليها ظلا مظلما . احذف من ألفاظك كلمات الضعف وعدم المقدرة حتى يفارق الشك ساحة عقلك لينفرد اليقين بالاقامة فيها .

اطرد عنك الخوف الى أعداء الانسانية لانه لا يصدر إلا عن الشعور بعدم الكفاءة أو بعدم المقـــدرة على التغلب على أشد الصعوبات التى تفاجىء الانسان وهو فى ميدان العمل .

تجنب سرعة الانفعال والغضب فلا تعاد أحداً من اخوانك فى الانسانية ولا تتصرف فى حياتك اليومية تصرفا يحمل الآخرين على الاعتقاد بأنك تتعمد مس احساساتهم أومشاعرهم واطرد من أمامك كل مشاعر الاحتقار والاستهزاء .

لا تقبل حياة الرضى بحياة متوسطة سهلة المنال لا موضع فيها للجهد أو التعب واسعى فى بذل كل جهدك للحصول على حالة أرفع وأعلى هى حالة (الرجولة الناجحة) .

كيف تستطيع أن تكون حراً ناجحا وسعيداً وأنت سجين وعبد للأفكار المشيدة على أنك فقير وسيء الحظ ؟ ؟

وكيف تنتظر أن تكون موفقا فى الحياة وأنت دائما تتكلم عن سوء حظك .

ومادمت أنت تفكر أنك دودة صغيرة فقيرة بائسة فانت كذلك لانك لا تستطيع أن تكون غير صورتك التى تصور بها نفسك لنفسك . فاذا اعتقدت أنك تعيش بائسا لاحظ لك فى الحياة فأنت

كذلك من غير شك . وثق أنه لا توجد فى العالم على اتساعه عقاقير أو أدوية نافعة تستطيع انقاذك من هذه الحـــالة غير تحويل مجرى أفكارك .

القيمة الشخصية :

تعلم أن تكون رجلا وأنت تثقف عقلك فى دور الطفولية بالمعرفة والعلم حتى إذا ما انخرطت فى سلك مدرسة الحياة العمليه أتاك النجاح صاغراً يطلب الانتساب اليك لانك شرفت عملك . سواء كنت وزيراً كبيراً تدير شئون الدولة أو عاملا صغيراً فى الشارع .

فطالما اتسم عملك بسمة الرجولة فأنت فى زمرة الناجحين لان القوات العاملة على جلب السعادة كثيرة منها المال والاصدقاء والمناصب إلا أن هناك أمراً واحداً لا يستغنى عنه العاقد النية على النجاح فى الحياة وهو القيمة الشخصية والرجولة . فالذى يقف متسربلا ببراء الاصلاح لا يكون ضعيفاً فى الحياة ولا منسياً فى الممات . اذا ينابيع ثروة أية أمة من الامم ليست فى الحقول ولا فى الاحراش والغابات ولا فى المناجم بل فى دور التثقيف والتعليم .

تأكيدات ومقدره :

ان العظماء الذين قاموا بعظائم الاعمال الباقية آثارها على جبين الدهر لهى دروس نافعة وعبر بالغة للذين يدرسون ويعتبرون الاقوال بأنهم أقوياء فى تأكيداتهم وأن لهم مقدرة ايجابية هائلة تندك أمامها

جبال الصعاب خوفا وهلعا وأن تأكيداتهم بوجود قوة فعالة فى داخلهم واقتناعهم بالمقدرة على العمل لما يدعو الى العجب حين تجدهم يتكلمون كمن لهم سلطان والحقيقة أن الانسان مخلوق ليكون سيد جميع المخلوقات .

ماذا يكون حال العالم اليوم لو عدل جاليليو عن ابحاثه لما رماه أهل عصره بالهوس والجنون أن العلم قائم على ثقته بأن الارض مستديرة وانها تدور حول الشمس بدلا من أن الشمس تدور حولها .

ولو أن كرلمبس قد عدل عن رأيه وقد فقد ثقته فى نفسه لما ضحكت عليه كل أوربا ونعتته بالجنون .

لقد كان لنابليون وبسمارك وهيجو وغيرهم من الرجال الناجحين الايمان العظيم فى أنفسهم حتى أنهم سموا فوق البشر وعرضوا أنفسهم الى السخرية .

ان هذا الايمان قد ضاعف قوة هؤلاء العظماء .

انظر كيف استطاعت جان دارك الفتاة القروية الضعيفة أن تقود الجيش الفرنساوى بهذا الايمان السامى وتلك الثقة العظيمة فى نفسها وكيف استطاعت أن تقود اولئك الالوف من الشجعان البواسل كما لو كانوا أطفالا بهذه الثقة عينها : ان هذه الثقة الالهية قد ضاعفت قوتها حتى أن الملك لم ينسه سوى طاعتها . ولقد برز اسم جان دارك فى التاريخ فشغل فى أحقابه علما من الاعلام ورمزا من رموز التضحية والفداء فى سبيل الوطن

ولقد استطاعت جان أن تنفخ من روح قومها فقادته من نصر الى نصر حتى تحرر الوطن الفرنسى من احتلال الانجليز وكان ذلك فى خاتمة جهادها الشريف واقترنت بأعجب محاكمة عرفها التاريخ اذ تحالف أكبر قادة الفكر الفرنسى مع أعظم رجال الدين دهاء بل مع رجالات جامعة باريس العظيمة وأثر فيهم ملك الانجليز وقوادهم ولفقوا أشنع الاتهامات ضد فتاة وادعة بريئة .

ولقد توافرت فى كل ظروف هذه المحاكمة سوء النية والقصد وكانت المرافعات فيها صعبة لا تستند الى أساس ، ومع ذلك اظهرت جان كل شجاعة وثبات وخبرة بشئون القضاء وهى الفتاة الأمية التى لم تبرح قريتها الصغيرة من قبل فكان ذلك اسطورة من الاساطير الخالدة . ولا عجب اذاً اذا كان الفرنسيون بعد ان ردوا الى جان دارك اعتبارها قد انزلوها فى أنفسهم منزلة القديسين الابرار ووضعوا عنها الكثير من الكتب الروائع ولقنوا حياتها الشريفة جهاداً ومقصداً لا بنائهم وبناتهم ليتعلموا كيف يكون الاخلاص لله والوطن .

الثقة بالنفس :

والثقة بالنفس قوة مبدعة تذهل لهولها أشد الصعاب الرابضة فى طريق الانسان .

فاذا اعتقدت عن يقين جازم أنه فى مقدورك احراز النجاح فأنت تستطيع ذلك دون شك فلا تقل قد ذهب النجاح من بين الناس

وانقضى عصر الرجال الناجحين - ولا تقل أن الله سبحانه وتعالى قد جعل من النجاح النهاية القصوى فى عظماء العصور الغابرة مثل سقراط وأفلاطون وابن رشد وابن سينا وباكون وديكارت وهيجل أعلام الفلسفة - وكرومل واليصابات وفكتوريا ولويس الرابع عشر وبطرس الاكبر نوابغ إدارة شئون الملك - وبت وفوكس وغلادستون وبسمارك وريشليو وكافور وشيشرون وسعد قادة الشعوب بتفوقهم فى الخطابة السياسية - ووليم الظافر وبلوخر وهندنبرج وفوش رجال السيف فى الحروب

وهوميروس وملتون وشاكسبير وهيجو وشوقى ألسنة الوحى والالهام الشعرية - ورسكن وكارليل وامرسن وتولستوى أبواق الاصلاح الصارخة صرخا يستنهض الهمم ويوقظ النفوس من سباتها العميق .

لا تقل شيئا من ذلك لان عمل النجاح لم ينته بعد اذ أن أعظم قادة الفكر لا يزالون مجهولين .

لا تقل شيئا من ذلك لان الهيئة الاجتماعية لا تزال فى احتياج شديد الى اصلاح المصلحين الذين يشعرون بواجباتهم من نحو اخوانهم فى الانسانية

المبدأ الوحيد :

والاتكال على النفس هو المبدأ الوحيد الذى يجب اتباعه والعمل به مهما كان نوع العمل والطبيعة تقول للانسان . اشتغل يا بنى اشتغل

في كل حين . اشتغل سواء مأجوراً أم غير مأجور ، كل ما عليك ان تشتغل وجزاؤك ان يضيع . اشتغل مهما كان نوع الشغل دقيقا أم غير دقيق كأن يكون حرث الحقول أو نظم الاشعار وليكن شغلك بأمانة ولن تعدم أجراً ومهما فشلت فلا تيأس ولا تحبن أنك للفوز خلقت وأقل جزاء تستحقه عن عمل تنجزه هو أنك انجزته .

وجوائز الحياة أكثر من أن يستنفدها العمل والاجتهاد والثبات والنجاح فان المجال واسع والجعالات كبيرة والميدان فسيح وقصب السبق نصيب المجتهدين كثروا أم قلوا .

فلا تنظر الى صاحب المهنة الحقيرة بعين الازدراء اذ ليس نوع العمل بل الروح التي ينجز بها فلا ينبغي لنا أن نحتقره أو نعيره لان كل مهنة شريفة على الاطلاق ، لا فرق بين تهذيب الاشجار وتهذيب الاخلاق ، وحسب الشريف المحترف حرفة بسيطة أو المتخذله مهنة محترمة أو شاقه أن يحسب نفسه سالكا في الوعر طريقا مستقيما تنتهي به الى غايته فيقتفي آثاره التابعون ويكفون بفضل تقدمه شر الضلال ومؤونة التخبط على غير هدى .

ذكريات :

ان الجنس البشري تواق الى التقدم وان آماله فيه وطيدة وانه بحث مطبوع على ادراك تلك الآمال والانسان كفرد من الجنس مع تقدمه في السن تقل رغائبه ومطامحه وتحل ذكرى الماضي في صدره محل

آمال الشباب فى المستقبل ؛ وبيت لا يعبأ بكثير من الأمور التى كان يرغب فيها فى عهدى حداثته وصباه ومن نمط أفعاله فى صباه وشبابه تكون ذكراه فى هرمه وشيخوخته . ومن أبلى بلاء حسنا فى عهود القوة والنشاط فما عجز الكبير إلا راحته المشتراه بذلك العناء . ولعل مسرات الشباب تفوق مسرات الكبر فى شدة التفوق والرغبة ولذتها أما مسرات الشيخوخة فأكمل وأرزن وتفوق مسرات الشباب بهدوء السلوان والتعزية الذين يكونان جزءاً جميلا للحمية والغيرة والنشاط الذى أظهره فى ماضيه .

فالشيخ بماضيه والشيخوخة بتذكاراتها وان الحياة ملأى من المسرات التى هى ألذ من أن تدوم ولكن ذكراها أشهى من التمتع بها .

obeikandl.com

الحرية

عوائق النجاح وضرورة التحرر منها

من السهل أن تزحزح الجبال وتهذب بها
بعيدا من أن تنزع أغلال الرق والعبودية ممن
يصرون على التمسك بها .
الحرية رخيصة مهما كان ثمنها .

لكل شخص طبيعى كائن كان فى هذا الوجود قوة فعاله محفوظه داخله تساعده على تقوية حياته والوصول بهـا الى تمام التوفيق والنجاح . ولا يكون هذا إلا إذا كان حراً فى اظهار كل ما هو جميل وعظيم فيه . ولم يكن مقيداً بقيود أدبية اجتماعية أو مادية .

والجبن مانع قوى من موانع الحرية يلقى الكـثيرين من الناس فى سجن الظـلام العقلى فلا يصلون الى طور الحرية التى لا ينالها الانسان إلا عن طريق التربية والتهذيب .

فلو رمت الوصول الى نهاية النجاح فى الحيـاة والى ملء عظمة النفس الذى يدعم القوى العاقلة ويركزها على قواعد متينة يجب أن تنال الحرية مهما كلفتك . لأنك لا تجد بديلا لفقـد أجمل ما فيك وأفضله . وخير لك أن تظهره غير مبال بالتضحية .

وكـثيراً ما يتألم الانسان ويشقى فى مقاومة الموانع والعوائق

التى يلزم لمحاربتها أن يظهر للملأ متانة أخلاقه الكريمة ويكون هذا ثمن تحريره من الظلام .

أما الفنيات التى لا تحقق والمطامع التى لا تخرج الى حيز الوجود هى أمراض تنخر فى قلب الرغبة وتمتص قوة الاخلاق وتلاشى فكرة تحقيق الآمال وتسحق من الوجود كل ما هو جدير بأن يكون مثلا أعلى . فهى تدمر حياة الرجال وتصيرهم أصداقا وهيا كلا بدون أرواح فلا يبقى لهم من الانسانية غير الشكل الخارجى . وانى أعتقد أن الانسان لا يكون سعيداً فى الحياة حتى يظهر ما ميزه به الخالق من المواهب ويحقق ذلك الميل العظيم الذى يصرخ صراخا عاليا فى طبيعته حتى يحسن استخدام تلك الموهبة التى كان القصد منها أن تكون أعظم مواهبه وأفضلها .

ولا يستطيع إنسان أن يحيا حياة ناجحة طالما كان مغلولا فى جزء من طبيعته لذلك يجب أن يكون حراً فى أفكاره وفى أعماله ولا يحمل بين جنايا ضلوعه ضميرا مكبلا بسلاسل وقيود ولا يحجب نشاطه ونبوغه عن الظهور فى ميدان الاعمال الشريفة .

اظهر ذاتك ولا تكن غير ما أنت .

ولا تتكل على انسان ولا تعتذر بحجة أنك لست كفئا للعمل المطلوب منك القيام به .

قليلون من الناس عبيد لأنفسهم والباقون عبيد لمبادئهم أو لجماعة أخرى يقف أفرادها حجر عثرة فى سبيل رقيهم فلا يفعلون ما يريدون بل يبذلون كل جهدهم فى اكتساب معيشتهم فقط غير مبالين بالحياة

المثلى التى يعمل فيها الانسان الحى ساعيا الى الخير لان الانسان الافضل هو الانسان المجد العامل الذى يدرك أنه عضو اساسى فى جسم المجتمع .

وكثيرون من الناس اليوم يستنزفون قواهم العقلية والبدنية لاجل فائدة الآخرين وهم فى الواقع أكثر اقتداراً من الذين يخدمونهم إلا أنهم فى حالة يرثى لها من الاستعباد لان الديون سواء كانت مالية أو أدبية أو اجتماعية قد ربطت قواهم فأصبحوا عاجزين عن إظهار اقتدارهم .

وهل يوجد شىء فى العالم يجد فيه صاحب الآمال الكبيرة ما يعادل خسارة حريته فى العمل وحريته فى الكلام والاقتناع أو الاقناع ؟

هل فى استطاعة الاموال أن تعوض على الرجل ما يلحقه من الذل والاهانة والانحطاط ، واعتذاره عن كل شىء من غير حق بينما فى وسعه أن يكون مرفوع الوجه ولا يخشى أحدا فى العالم ؟

لذلك يجب عليك ألا تشغل مركزا بغض النظر عن الباعث سواء كان مرتبا كبيرا أو جائزة مالية ما دمت لا تقدر أن تمثل فيه دور الرجل الحقيقى .

« لا تبع أفكارك ولا تسمح لباعث من البواعث أن يعقل لسانك عن النطق بالحق واعتبر استقلالك الشخصى حقا لا يباع ولا يوهب ؟

واحذر من ضياعه لئلا تفقد أثمن ما لديك فى الحياة .

الذهبة واحدة من مواهب الحرية أفضل بكثير من الذكاء المربوط بقيود الاستعباد والمقرون بجبال الاستسلام الذى لا يأتى صاحبه أى عمل فيه خسارة شخصية ، لأنه ما الفائدة من عقل كبير محصور فى حير صغير لا يعمل غير عمل قزم ضئيل .

لذلك يجب علينا لكى ننال الغاية من أنفسنا أن نقطع العلائق مع كل شىء من شأنه امتصاص قوانا البدنية أو الاخلاقية وأن نضع حداً لضياع الحياة سدى فيما يضر ولا يفيد .

ويجب أن نقطع العلائق مع كل شىء يسبب الاحتكاك الذى يؤدى الى أضعاف العزم واخماد الغيرة وتحقير المطالب العالية وخفض مقياس الحياة الى الحد الاسفل .

وأن نهجر كل شىء يفضى الى قتل جراثيم المطامع ويجعلنا نقنع بالحالة المتوسطة .

عوائق النجاح وضرورة التحرر منها :

المستعبدون للعادات الرديئة غير قادرين على اظهار ذواتهم الفاضلة فى أعمالهم ولا يمنعهم عن ذلك غير ذهاب قوتهم الحيوية جزافا بسبب العادات الرديئة واللهو والخلاعة .

واخرون تمنعهم عن بلوغ الكمال فى الحياة الاخلاق الذميمة والطباع الشاذة كالعناد وصلابة الرأى فى غير محلها والسفسالة وحب

الانتظام والغيرة الشريرة والحسد وهؤلاء أصحاب الطباع الشاذة كالحيوانات المقيدة فى حدائق الحيوان فانهم بادىء الامر يتمردون لضياع حريتهم ويبذلون الجهد فى الافلات ولكنهم سرعان ما يعتادون على الاستعباد تدريجيا حتى يستمرؤا .

غير ذلك توجد عراقيل أخرى تعوق نجاح رجال الاعمال وتحبط مساعيهم منها الدين والشريك الشرير الطباع والارتباط الاجتماعى الذى لا ترافقه سعادة

فالأحرار حقيقة قليلون وهم الذين يملكون قيادة أنفسهم وأما الذين يملكهم الغير فيسيرون فى طريق لا يرغبونه لانهم ليسوا أحرارا ويصرفون الحياة فى تسديد ديون قديمة نشأت عن فساد الرأى والتهور فى العمل والجهل فى دخول البيت من غير بابه فبدلا من الاسراع الى معرفة طريق الحياة الحقيقية يحاولون تعويض وقت مفقود بفقد وقت جديد فهم دائما أبدا فى مؤخرة جيش العاطلين لا فى مقدمة جيش الناجحين الذين يقولون : « الوقت من ذهب »

والرجل الذى يثق بكل شخص يعجز نفسه ويضعفها والرجل الذى يساعد كل انسان ولا يجد من يساعده يربط اقتداره الخصيب المثمر ويعوق عمله بالخطل فى الرأى أو بالافتقار الى الحاسة الاجتماعية فى العمل لان الانسان الذى يستخدم قوة مميزة سليمة ورأسا لا يشط عن جادة الصواب لهو من الفائزين فى معترك الحياة

لا تورط نفسك فى عمل ما بل اجعل مبدأك فى الحياة الصراحة مع الاخلاص على شرط الا تعرض شيئا للضياع فقبل الشروع فى

عمل ما فكر فيه من أوله الى آخره ولا تقبل عليه إلا إذا كنت على يقين جازم من المخرج ولا تجازف باقتدارك ولا تخاطر بسعادتك المنزلية وأموالك التي إقتصدتها على رجاء الحصول على شيء نظير لا شيء.

وانم قوتك المميزه في أيام الصغر ومرن نفسك على الحرص حتى تركن اليها لأن قوتك المميزه أفضل صديق تعول عليه وحاستك الاجتماعية أكبر شريك لك في حياتك وقد أعطيت لك لارشادك والمحافظة على مصالحك فاعتمد على هؤلاء الاصدقاء الثلاثة وهم . القوة المميزه والحرص والحاسة الاجتماعيـة وأنت لن تكون تحت رحمة الرياح المعاكسة .

قيمة الخيال فى حياة الرجال

دين العالم للمفكرين (الخياليين)

ان ثبات الخياليين على تنفيذ خططهم ينتصر دائما على اولئك المجردون منه .

اخرج الخياليين من العالم وقل لى بعد ذلك من الذى يهتم بمطالعته أليسوا هم طليعة جيش المصلحين قادة الانسانية الراقية الى الكمال الروحى والأدبى والاجتماعى - هم الذين بظهور محدود به وحياة تقطر عرقا هو فى الحقيقة دم حياتهم يحفرون الطرق التى يسير الانسان عليها الى الامام من جيل الى جيل - وما الحاضر إلا المجموع الكلى لاحلام العصور الغابرة - ان أحلام الماضى هى حقائق اليوم الراهنة فالبواخر العظيمة التى تمخر عباب المحيطات والسراديب العجيبة التى تسير فيها القطارات تحت الارض والجسور والكبارى الفاخرة التى توصل بين مكان وآخر والمستشفيات ودور الكتب والمدن الكبيرة بما فيها من وسائل التسهيلات وكنوز الفن وكماليات الحياة هى نتيجة أحلام (المتهوسين) فى عرف الناس - رجال الاصلاح والعمل فى نظر الحقائق .

يقول الرجل المحروم من موهبة التخيل عن أمرها أن هذا العمل لا يمكن عمله بينما يقول المتخيل أن هذا العمل يمكن عمله ويصر على

أحلامه وتخيلاته مستهينا بالخسائر حتى ولو أشرف على الموت جوعا لا يرجع عن غيه حتى يدرك ما يريد وتصبح خيالاته واختراعاته واكتشافاته وافكاره عن تحسين حالة الانسانية حقائق راهنة يمكن العمل بها .

الخيال فى الفن وفى الاعمال أيضا :

وان أعظم الرجال العمليين هم الذين يستطيعون النظر بعيداً فى المستقبل ويرون المدنية الآتية هم الذين يستطيعون نظر الرجل المقبل محرراً من قيود العصر الحاضر وحدود دائرته وخرافاته التى كادت تقضى على أهله . هم القادرون على التنبوء بالامور العتيدة أن تأتى بقوة تصيرها حقائق - هم الذين أدركوا المستحيل .

تجارب مريعه واختبارات مؤلمة سبر غورها رجال ونساء فى السجون لاجل تخيلاتهم وأحلامهم التى كان مصيرها رفع الانسانية من أسفل درجات الانحطاط الى أعلى مراتب المدنية الراقية وتحرير الانسان من مشقة العمل ومن عناء الجهاد .

ان الاحلام والتخيلات التى من أجلها القى جليليو وغيره من كبار العلماء فى قاع السجون المظلمة واطهدوا اطهاداً مراً لم يعترف بها كعلم إلا بعد موتهم بزمان طويل .

ان حلم جليليو أعطانا سماء جديدة وأرضا جديدة - وأحلام كونفوشيوس وسقراط صارت حقائق فى حياة الملايين .

وقد قيل عن السيد المسيح أنه متخيل وحالم ولكن حياته كانت نبوة وفلسفة وعلما عن الحياة المقبلة للإنسان والمدنية المقبلة ورأى ورأى هذه الصورة صورة الرجل الذي يقصده الله . ورأى وراء هذا الرجل الناقص الضعيف المشوه العاجز الرجل الكامل الذي هو صورة الخالق .

رؤيانا هي دلائل حقيقية عن غدنا .

إن رؤيانا لا تسخر بنا لانها دلائل واشارات ورموز على ما سيكون في المستقبل ونظرات سابقة عن الحقائق المزمعه ان تخرج من عالم المجهول الى عالم المعلوم .

قدرة التخيل :

وان أقدس ميراث للانسان هو اقتداره على التخيل ولا يهم ما تقاسيه من الشقاء اليوم ان كنا نرى في الغد عزآ مقيما وهناء دائما

قيمة الخيال .

إذا جردت الرجل العادي من خياله وأوهامه فقد جردته سعادته التي يحلم بها كذلك من يسلب هؤلاء المساكين قوة الخيال التي تخرج كل عناء من أشغالهم التي تملك القوى ؟ ومن يحرمهم من أنواع الترفه والنعيم التي يتمتعون بها في أحلامهم عن مستقبل أفضل وتربية ارقى وكماليات اكثر لاجل الاعزاء لهم ولا يوجد وراء كالامل ولا منبه فعال ولا مقو مؤثر كانتظار شيء تفضله في الغد فالتخيل هو

اخص ميزات الانسان بصرف النظر عن فقره ونحس طالعه فهو واثق بنفسه لا يعول على غيره ولا يخشى قوة القضاء والقدر والسبب في ذلك اعتقاده باقبال ايام العز والهناء .

فالكاتب يستطيع ان يعيش في معمل يخصه يشيده له خياله وكذلك الفتاة مشتغلة في احد المعامل تحلم عن بيت جميل يخصها .

والمقدرة على الخروج من الارتباكات والتغلب على التجارب وقهر الانعاب والتخلص من وسط يسود فيه الخلاف والنزاع للوصول الى جو الوفاق والجمال والحق أعظم قيمة من كل الجواهر .

تعلم ايها الشاب ان تكون مقتدراً في كل شيء وعلى كل شيء لان الامل والشجاعة والعزم على مواصلة الجهاد في الحياة لا يفيد شيئا لو نزعت منك قوة التخيل .

لان هذا التخيل وهذا الرجاء وهذا الانتظار على أمل تحسين الأحوال في المستقبل هو الذي يحفظ فينا روح الشجاعة والأقدام ويخفف اثقالنا ويزيل كل العقبات التي تعترضنا في الطريق .

اعرف رجلا قد احتمل تجارب متنوعة وكابد صعوبات كثيرة ووقف مواقف تفتت الاكباد ومع ذلك فكل شخص يعرفه يستغرب من رقة طباعه ولين جانبه وعذوبة منطقه وميزان عقله وجمال اخلاقه الكريمة ويقول أنه مدين بكل شيء لاقتداره على التخيل وقد يستطيع ان يرفع نفسه من شر الحالات واكثرها تشويشا وارتباكا الى الهدوء التام حيث لا يرى غير الجمال في كل شيء . ثم يعود الى عمله في غاية النشاط وجسمه في منتهى الصحة والقوة .

اساءة استعمال قوة التخيل :

ويمكن اساءة استخدام واستعمال القوة المتخيلة كغيرها من القوى وكثيرون من الناس لا يعملون شيئا غير التخيل فيصرفون همهم في بناء القصور في الهواء دون ان يبـــذلوا مجهوداً وحداً في سبيل تحقيقها .

ما أجمل التخيل متى كان لك شجاعة واصرار على العزم ان تجعل تخيلاتك تسابق الحقائق وتنافسها .

واعلم ان التخيل دون مجهود والتمني بغير سعي وراء ادراك هذه الاماني يلحق ضرراً بالغا بالاخلاق .

لاتنقطع عن التخيل . شجع رؤياك واعتقد اعتقادا راسخا ان احلامك عزيزة وابذل جهدك في تحقيقها .

فهذا الدافع الذي يتوق الى العلا والذي ينظر الى فوق والذي يشير الى أشياء أفضل هو « هبة الله للانسان » التي تدلنا الى الطريق الموصل لسماء النبل والاخلاق والنجاح — ان حياة الانسان نسخة طبق الاصل من احلامه فخلد الافضل نبوءة عما تصير اليه حياته في مستقبل الايام .

الفصل الثانى

obeikandl.com

الارادة

قال ديكارت « الارادة هى أشد ما فينا اتصالا بنا - حتى أن عقلنا وحسنا لا يفوتان أن يكونا شيئين لنا أما ارادتنا فهى نحن أنفسنا »

وقال لاكوردير « من لا يحسن قيادة ارادته فلن يصير رجلا . فان مقياس قدر الرجل قوة إرادته »

ندرت الارادات القوية فى وقتنا الحالى لاسباب ترجع الى قبول الحضارة ليس على وجهها الصحيح بما دعى الى فساد المروءة والانسانية وعدم التوجيه الثقافى المطلوب ثم ضعف الاعتقادات الادبية والدينية التى تترتب عليها الاخلاق القويمة .

والنجاح فى الاعمال لا يتوقف على العقول الكبيرة بل على الارادات القوية . فمن يحكم على مستقبل شاب فى المدرسة بناء على رتبته المدرسية يخطىء ويضل السبيل وتقوم بعض المدارس الانجليزية بعدم منح جائزة النجاح لاجود التلاميذ عقلا جريا على عادة كافة المدارس بل تمنحها لاجلهم أخلاقا وهذا الاصوب لما فيه من الاثبات لافضلية الارادة .

وقد يبطىء النجاح كثيراً أو قليلا تبعاً لاهلية الشخص لكن الجهود المتواصلة تكافأ حتما لان الارادة القوية الثابتة ليس فى مقدور

الناس ولا الطبيعة صدها عن أغراضها حتى أنها إذا استقرت عند انسان امتنع أن يكون وضيعاً فالارادة هى القوة المنظمة التى تعين وتبين قدر كل انسان بقدرتها الطبيعية ولا سيما المكتسبه .

ولديك العلماء والمخترعون وأرباب الصنائع والفنون والكتبة وكل الرجال الناجحين هم بحق رجال ارادة وحزم .

وتحصيل العلم لا يصـــير بعمل العقل وحده بل بعمل الارادة أيضا . فان كانت مشقات تحصيل العلم لاتتم الا بانعكاف العقل على التحصيل انعـــكافا لا يتسرب اليه الملل ولا توهنه الصعوبات ولا المراجعات ولاطول التبحر كذلك اختبارات العلماء (كباستور فى عالم الميكروبات وروفائيل فى بدائع التصوير والنحت وغيرهم) ونبوغهم الذى يحسبه العامة سهلا بديهيا ليس فى الغالب الا صبراً طويلا وثبات جهودهم حول تركيز قوة ارادتهم . أما نقص الارادة دليل فى الغالب على قلة الذكاء .

وكبار رجال الارادة لم يكونوا أفضل طبيعة من سائر الناس لكن كثيرين منهم أحرزوا انتصارات تفوق المعتاد . ولقد ارتضوا كل ضروب الاهانة وتسلطوا على شهواتهم السفلى ونسوا أنفسهم فادركوا غاية النجاح الحقيقى .

بذلك نستطيع أن نقول أن أى إنسان خلا من الارادة القوية الثابتة لا يمكنه إصلاح عيوبه ونقائصه .

كان المارشال فوش وهو يدرس فى المدرسة الحربية يكرر على

تلاميذه هذه العبارة « النصر على قـــدر الارادة » فانتصار الجيش يترتب فى الغالب على ارادة قواده وجنوده وبأسهم أكثر من عدده وعدته .

والظفر على قدر إرادة الظفر . والمعركة الخاسرة انما هى المعركة التى يظن أنها خاسرة . فالارادة الجريئة الثابتة هى التى حملت الانسان على اختراق الجبال وحفر المضايق تسهيلا لطرق المواصلات بين الشعوب وهى التى رفعت على سطح الارض الوفا من البنايات الفخمه .

تأمل حياة نابليون وارادته الحديدية وقوله المأثور « العزم الثابت أعظم حكمة عند الانسان » وكيف تمكن من الاستيلاء على أوربا بفضل هذه القوة .

إن عمل الارادة يظهر حيث لايظن أنه يظهر حتى فى الصحة لان الصحة الجيدة تؤثر على الارادة وكذلك الارادة تؤثر فى الصحة . فهى تعين حدود الراحة والتغذية بالنسبة للعمل وتتخطى ذلك الى مقاومة الأمراض لانه معلوم أن الاوبئة تصيب أشد الناس خوفا وهلعاً . أما أصحاب الجأش الرابط والشهامة والارادة الوثابة فهم أبعد الناس من عدوى الاوبئة والعلل

فالترقى إذا والنجاح والنصر والاستحقـــاق والبسالة والفضيلة والبطولة كلها مترتبة على الارادة . إذا الانسان يستطيع عمل مايريد طالما قد محى من ذهنه كلمة « لا أقدر » وكلمة « محال » وما شابه ذلك فقد قال كرليل ليست كلمة محال بكلمة مستطاعه ولا يرجى ممن بدت على شفاههم نتعاً وكان سوفاروف الجنرال الروسى العظيم يقول

لمن يعتذرون بقولهم (لا أقدر - محال) إعملوا - حاولوا - تعلموا ويجب عدم الخلط بين الارادة والعناد الذميم والتشبث بالرأى والحدة الشنيعة أو بهائق قوى كحبة الذات وكالتصنع المباهى بحماسة فان هذه الاشياء بدل أن تكون دليلا على الارادة تدل على عكسها من وهن وضعف واصل السعى الى الغرض هو ما ترجاه ولا نجبن تجاه ماتلقاه من العقبات والحبوط فى طريقه .

فأخ الارادة رابط الجأش متزن فى عزمه متبصر فى عواقب عمله قوى يملك بواعثه للعمل ويقيم سداً منيعاً فى وجه سيلها الفوضوى صبور لا يباشر عملا يريده إلا بعد أن تطفأ أول نار حماس تأجج فى قلبه - ويقيم على رباطه الجأش غير مظهر شيئـــاً من انفعالاته ومناصباته الباطنيه وهو فى الجملة مالك لنفسه ضابط لاهوائه .

قيمة الارادة :

والارادة وإن كانت تعاون على انماء الخير إلا أنها لا تتطلب من صاحبها الدماثة التى هى ضرب من الضعف تقوم بافراط التسامح تجاه مقتضيات الغير وتحول حياة صاحبها الى تقاعد أبدى .

وكذلك لا تتطلب منه السذاجة غير الخيرية لان هذه تفترض عظمة نفس حقيقية وغاية مثلى جميلة وعقـــلا مثقفا - أما السذاجة فتنشأ عن عقل حقير اعتيادى أو دون الاعتيادى والافعال التى تشير بها تريد أن تكون صالحة لكنها لا تكون إلا تافهة كما يقترن بها من قلة التروى وكثرة الاسراف الذين هم ليسوا فى حاجة اليه

ويظهر ازاء هذا مداهنين كثيرين . فالشاب الرزين لا يثق بأقوال المتملقين ولا يقبل التقاريظ إلا ممن لهم سلطان اعطائها وهم يقرنونها بلوم مستحق وللفائدة المرجوة .

كيف تتعلم الارادة :

من أقوى الوسائط وأفيدها لتهذيب الارادة اختيار وتصور غاية أو أمل تسعى الى تحقيقه وتتجه بكل جهودك نحوه .

وهذا التصور ينبغي أن تجعله نصب عينيك ليصير عليه العلم بجاذبيته ويستميل اليه قوة الفاعلية الداخلية والخارجية ويحتكرها لمنفعته — ألا ترى أن الرجال الناجحين لم يفكروا في غير الوصول الى مآربهم فلديك نيوتن مثلا وباستور وسائر العلماء صرفوا أفكارهم الى اكتشاف النواميس العلمية الغير مستكملة الظهور . ونابليون حول كل فكره الى الفتوحات . وها أصحاب الالوف والملايين في أيامنا هذه يوجهون أفكارهم الى وسائل الارباح .

والتصور يكون قويا إذا أسندنا اليه ميلا وتشويقا .

إذا من شاء ارادة قوية وجب عليه أن يقرن كل فكر عزيز عليه بميل يلائمه ولا يألو جهداً في تعزيز ذلك الميل .

فمحبة العلم مثلا تولي العالم التجلد على العيش في العمل المتعب للعقل والبدن . ومحبة المال تحمل عشاقه الى تجشم كل الصعاب في الحصول عليه ومحبة الوطن تبعث الجند على أن يقتحموا الحرب وأهوالها .

ومحبة الاديان تحمل المتدينين على مقاساة كثير من الذبائح والتقشفات فاذا اقترنت العاطفة بالارادة عظمت قدرتها وهكذا طالما الارادة تذوب فى بحر الاشواق والرغبات فسرعان ما تجد النفس مدفوعة بهذه العوامل الى الوصول لغايتها .

نشاط الارادة :

ومن مظاهر نشاط الارادة التأمل المستمر فى فضائل عظماء الرجال لما فيها من قدوة مشوقة .

وواضح أيضا أن الرفاهية والتأنق الشاذ فى الملبس والمأكل والمسكن لا تساعد على انماء العزيمة - كان كرستوف كولومب ابن منجد وبيوس العاشر ابن خمار (صاحب خماره) لكن عزيمة هؤلاء الرجال وأمثالهم تغلبت على كل الاحوال المعاكسة لهم وأصبح الفقر أقوى محرض لهم على الارتقاء .

قيل إن أحد اصدقاء تولستوا سأله مرة ما الشر العظيم الذى تتمناه لعدوك ؟ فاطرق رأسه مفكرا وقال : أن يولد أبناؤه أغنياء » .

الهيئة الخارجية وعلاقتها بالارادة :

للهيئة الخارجية دوراً لا بأس به فى تقوية الارادة حتى وان لاحت كأمر ثانوى إلا أن حركاتنا تعرب عن سيرتنا وتكون أحيانا بينة الدلالة كالكلام الملفوظ وحكمنا فى صاحبها على حسب

ما يبدو لنا فلا يمكن أن يوجد من يفرض وجود العزيمة عند شاب هيئته كئيبة ومشيته فاترة تائه وخامل بينما الكل يقطع بوجود العزيمة والحزم عند شاب يمشي ثابت القدم مرتفع الرأس منتصب القامة ، حاد النظر قارنا ذلك برصانة الصوت المنزه عن البلادة والتصنع والتخنث إذا فالهيئة المصاحبة لفعل ما تنم عن أفكار الانسان ويمكننا أن نقول أيضا أن الهيئة التي يلبسها الانسان تساعد على تحقيق الغاية المثلى التي يرمي اليها .

لان الفكر يولد الفعل وكثيرا ما يولد الفعل الفكر أيضا .

واللهجة والنطق أيضا ليسا من الاشياء التي يجوز اهمالها لان الانسان الباطني يظهر ويتصور بما يقوله وبكيفية قوله .

فاذا تلفظت بغلطة وخرجت عن المعنى المألوف وسلمت بلا تبصر بالمبادىء السائرة على ما بها من المخالفة لطيباة قوية تتوخاها فقد برهنت على قلة المبالاة ونقص أدبي لا يتفقان مع صدق الرغبة التي تدعو اليها .

أما الشاب المكترث للتهذيب الادبي والنطق بحسب قواعد الكلام فيخشى التصنع مراقبا لفظه لئلا يكون سريعا حاداً فيدل على أنه لا يقود زمام نفسه - أو لفظه بطيئا فيدل على ضعف عزيمته واصلاح طبيعته وتعديلها لا يكون الا بتمارين ملائمة أولها التنبه من لفظه كيف يجيء - واذا كان في خطة مالا يروق الناظر يجب أن يعكف على اصلاحه وتجويده - ومتى أصبح مهزب ومتقن وموافق

وهناك من الشبان من يلومون عصرهم ويشكون من أنهم لم يوجدوا فى عصر أفضل . فان انصرفوا الى الصناعة أو التجارة أو الزراعة كانت شكواهم من اليد العاملة أو احتكار التجارة وما الى ذلك من الاعذار . وفى الواقع أن من أنزلوا أنفسهم هذه المنزلة فقد تأهبوا للانقلاب فى معارك الحياة . فالرجل الخليق بالعظمة والنجاح لا يبالى بكل هذا بل يصرف كل همه الى مستقبل طيب ناضر .

والارادة تستمد الثبات والعزم من القلب فنحن نريد أن نعرف الحق لأننا نحبه وعلى قدر ما نحبه نلح فى معرفته أما عدم المبالاة بمعرفته فهو الدليل الحقيقى لخلونا من محبته .

على أن للقلب قوة يعتمد عليها العقل ليوضح له الاشياء كما قال باسكال . « للقلب أدلة لا يفهمها العقل » فهو يحمل اليه شعورا بالحق ينضم الى فهم الحق ويقوم مقامه أحيانا .

واعلم أن الحق لا يبذل نفسه طوعا للعقل المتصلف القليل المبالاة بل للنفوس الساذجة ذات الاستقامة والسخاء . وهو يفر من عقل من تغويهم اللذات المادية ويقبل بوجهه على النفوس النقية وبذلك يكون الرجوع الى الحق بالعقل أقل منه بالقلب والارادة . والتسليم بالحقائق الدينية مثلا لا يكون الا بفعل الاعتناق والمحبة .

ويقول شيرى : أن الضمير كالقلب فى حاجة الزيادة يتوق اليها والواجب أن لم يكن ساميا فليس بشىء والحياة تمسى تافهة اذا لم تشتمل على علاقات أبدية .

أما الشأن الادبى هو المصدر الحقيق لكل عظمة بشرية فمن فاته لا يمنعه أن يكون عالما كبيرا أو بطلا صنديدا أو رجلا عظيما لكنه لن يصير رجلا ناجحا بمعنى الرجولة الارفع . فان الناس يبخلون عليهم بالاحترام والاعتبار ويخلعون على من هم أقل منهم عقلية وطبيعة بشهرة الفضل والاستقامة والادب وكمال التوافق بين المبادىء والافعال .

والرجل العاقل الذى يصبو الى النجاح يشعر فى قرارة نفسه بأن قوته الفاعلة لا تطيق انحصارا بحدود مصالحه ولذاته وأنانيته فاذا اقتصر على مجاراة شهواته السافلة فلا يصدق كونه انسانا حقا . لانه يرى من خلالها خيرا أسمى يوجه اليه كل فعل من أفعاله وكل قوة من قواه ويحس بدافع يدفعه الى الامام ليصير أكبر وأفضل وأكمل وهذا الاندفاع نحو الافضل يظهر له على مضى الوقت أنه اجبارى فيعتقد أنه واجب عليه .

حقا أن الاحكام الارضية والانسانية البارزة المشيدة على الكرامة والاعتبار والشهرة فمجزها واضح رهى تافهة وغير ملازمة للإنسان فى أكثر الاحيان . ويقول رنان فى كتابه « مرك أوريال » يقول بعضهم أن لم يكن لهذا العالم سجل يجمع كل فلسفة الجزاء فمن ضحى بنفسه فى سبيل الحق والخير ينبغى أن يترك العالم راضيا ويسامح الله ان هذا لفى منتهى السذاجة والغرابة .

لماذا وضعت فيه غرائز خداعه فأخذ يحاول خداعها صالحة

لماذا تلك الضمانة الممنوحة للمستقبل والشرير . اريد أن يكون المستقبل لغزا أما اذا لم يكن مستقبلا فيكون العالم خفا مرعبا .

إن حب الحق يلزمنا أن نتخذ مركزا أقوى وأرقى أما الصلب والادعاء فهو ضد الحقيقة والواقع . لذلك ينبغي ألا نتمنى ما يتمناه الرعاع غلاظ الفهم بالشوق الى رؤية عقاب الاثيم وهتك عرض الفضيلة وليس فيما نريده هذا شيء من الانانية أو محبة الذات بل هو قصد شريف يدور حول التعلق بمؤسس الحياة فنتمم فكرنا المبدوء لنصل الى الامل المقصود ولان نعرف أكثر ونعاين ظفر الخير الذي أحببناه .

مقاييس الارادة البشرية :

تقاس الارادة البشرية بمقاييس كثيرة فالنظر الى شيء مايقتضي منك جهدا لتراه والاصغاء اليه جهدا لتسمعه والتبصر جهدا لتفهمه كذلك ان أردت أن تعمل هذا أو ذاك فهذا يقتضي منك جهدا في حمل الطبيعة على اصدار كل ما بوسعها لان الفكر الذي لم يعبر عنه والعمل الفني الذي لم يخرج من حيز التصور كل هذا مادام لايباشر بالعمل فانه يظهر هينا . أما اخراج الفكرة أو التصور الى عمل أو صورة أو تمثال ومباشرة العمل للوصول الى القصد المطلوب فذلك يقتضي الجهد ويكشف عن قيمة الانسان . وتظهر هذه المقاييس بوضوح وجلاء في محبة الفرد للارادة القوية والسعي في تنميتها وفي الصبر ومزاولته ومقاومة الميل الطبيعي الذي يقتل الارادة .

قيمة الجهد فى تنفيذ الارادة :

الجهد أشرف وأنقى لذات الحياة - فمن يعبث بالمصاعب ويصل طبيعته القتال ويقهر فتوره الفطرى ويقمع شهوات بدنه يشعر فى نفسه لذة تولد عنده محبة الحياة لان تقوية النشاط بهذا الجهد عينه يكثر من افراح الحياة وهو أفضل دواء لقتل السآمة والملل.

فاعلية العادة على الجهد :

ولولا العادة التى تخفف علينا تدريجيا من ثقل الجهد حتى نصير لانبالى به لكان كل جهد عنيف يجىء متعبا وثقيلا ولكانت تموت عندنا الجرأة ويتولانا الفشل.

فان السباق والملاكمة والالعاب الرياضية تنعب العضلات فى بادىء أمرها كذلك الدروس الفلسفية والعلمية أول ما يشرع بها الانسان تثقل الدماغ غير ان الجهود المستمرة تولد الاهلية لدرس خطير بتعب أقل ونجاح أوفر .

قال أرسطو « العادة طبيعة ثانية »

وقال دوق والنترن « العادة أقوى من الطبيعة »

ولما كانت العادات ذات قوة عظيمة ولا يجوز لك ان تملك منها الا الجيدة فاول خطوة تخطوها قد تكون صورة تتقيد بها طول عمرك وان كانت رديئة فقد تكون كل حياتك منصوبة على الخطر . اذا رأيته

ومنظم و نظيف ومحافظ على اللياقة والادب يجد وسائطا لتقوية ارادته . ولكن ماذا ينفع الادب والتربية الجيدة والمدنية على الاطلاق اذا كانت لا تنشىء الرغبة فى ايثار شهوة سامية عالية .

من كانت الشهوات منظمة أنت بمرونات عظيمة نافعة أما اذا أطلق لها العنان أمست مضرة . قال بسكال « لاشىء يصير عظيما بغير الشهوة ـ فلا شىء أشد اقلاقا لباطن الانسان من الشهوة » ومن أقسى الشهوات ايلاما للانسان شهوات الغضب الذى يصحبها الخوف غالبا والغضب والخوف هيجان وانفعال والهيجان فى رأى عالم النفس هو اضطراب نفسى وعضوى سببه ظهور لامر يحبذ رغباتنا أو يعاكسها والخوف والغضب من الهيجانات البسيطة الاولية التى نجدها عند الطفل ولكن الخوف أقدم أصلا من الغضب . وسبب الخوف ظهور مفاجىء لظرف اسنا متهيئين له ولا نستطيع الهرب منه لانه لو أمكن الهرب لما وجد الخوف الحقيقى العميق وقتا ليتحقق أثناءه أما حين يستحيل الهرب فالخوف يشتد ويعبر عنه بالانكماش فيختبىء الخائف أو على الاقل يستر وجهه بيده أو بثيابه أو بلحافه ويترجم الخوف جسديا بالارتجاف وأضـــاعة الضبط والدقة وتنقبض له الاوعية الدموية فتسبب فقر دم واصفرار اللون . وينقطع الافراز اللعابى فيجف الحلق وقد يحدث اضطرابات فى الافرازات الاخرى وكذلك فى ضربات القلب وفى التنفس ـ غير الشعور الداخلى من الاضطراب والايهام الذهنى والضيق الذى يصل حد الالم والرغبة فى الابتعاد من مكان الخوف وسببه الخوف مرتبط دوما بغريزة

حفظ البقاء ولذلك فالمجهول مخيف وكذلك الظلام وغيرهما . أما فى حالة الغضب فالسبب فيه رغبة تقاوم أو مواجهة مهاجمة . ومظاهر الغضب الجسمية ازدياد خفقات القلب وازدياد ضغط الدم واندفاعه فى الشرايين مما يسبب احمرار الوجه ولمعان العينين وتعبئة مقادير من الحيوية يعبر عنها بالصراخ أو الضرب أو الشتم يضاف الى ذلك تزايد فى التنفس واتساع فى المنخرين . أما داخليا فيضطرب الشعور ويحس الغاضب بتوتر متزايد مما يشعر الانسان بانه فى حالة انفجارية ويتمركز الانتباه تمركزاً شديداً حول سبب الغضب وتزاد رغبة الغاضب فى الايلام ومتى أفرغ الغاضب ما هيأ من قوى خدد عضلاته وارتخت أعصابه وعضلاته المتوترة . ويتضح أن الصلة بين كل منهما هيجان أصيل فى النفس وأن الاعضاء التى تعبر عنهما تكاد تكون واحده ولكن طريقة التعبير مختلفة وهذا يكاد يكون من الثابت عند علماء النفس أن المغضوب عادة أميل الى الخوف من غيره والعكس صحيح ولا سيما فى الاحوال المرضيه .

والهادىء الذى يحسن ضبط أعصابه أشد مقاومة للغضب والخوف من الشخص الذى يعيش على أعصابه (كما يقال) فهذا سريع الغضب كثير الخوف سهل الاثارة فى كل حال .

والطمع ولذة البدن التى إذا اصبها الانسان عز وارتفع أما إذا انقاد اليها ذل وانخفض كذلك العيوب والنقائص الطفيفه لا ينبغى أن يغفل أمرها لانها وان بدت صغيرة لاترى بالعين إلا أنه يأتى وقت ليس فى السلطان فيه تظهر نتائجها الوخيمة . يقول فى ذلك كنفوشيوس ضمن تعاليمه « لا تهمل إصلاح الشر مهما يبدو صغيرا فإنه قد ينمو حتى يفسدك »

تهذيب الإرادة :

يقول الرأى النظرى أنه من المستطاع تهذيب الارادة فيستطيع تنفيذ ما يرغبه بشرط أن يريده ارادة جدية ويصرف كل همه لإخراجه الى حيز الوجود .

أما الرأى العملى يرى هذا صعبا لما يقوم فى وجه الرغائب الطيبة من موانع لم تكن فى الحسبان وما يتصدى للجهود النبيلة من مقاومات عنيفة .

ويدعم هذا الرأى بأن الإنسان يرث أشياء كثيرة تتحكم فى كيانه وتخلق فيه كثيرا من الميول قبل أن يستطيع قبول العلم بنفسه منها الوسط الذى يحول دون الفضائل بما فيه من المبادىء والتأثيرات الموهنة لان الطبيعة وأحوال الهواء والبيئة لها يد فى رغبة العمل فالبرد يدعو الى العمل والحر الشديد يقود الى الاسترخاء والكسل والأراضى الخصبة تنبت سكانا بشوشين وباسمين وتولد ذوق اللذة والرغبة فيها أما الارض الجدبة تبعث الى التجلد والاعتناء والتبصر والتقشف والرزانة - والارض التى يكثر فيها التربية والإثمار يكون أهله أقل استنباطا .

ومنها أيضا الجنس الذى يمنع سكان بعض البلاد والاقاليم أن يأتوا بجهود ويكسبوا فضائل بينما يبلغ غيرهم هذا الغرض بلا عناء .

ومنها الوقت فإنه لا يجعلهم ملائما للعمل كل حين . إذا تهذيب الإرادة يتطلب كدا طويلا وتغلب الإنسان على نفسه لا يحصل

بلا عراك شديد ومستمر . كما أن أجمل البساتين وأجودها نظاما إذا أغفل أمرها طمست طرقها وارصفتها وخنق النبات البرى ازهارها كذلك الطبيعة البشرية فى حاجة الى تهذيب كل حين حتى اذا أحرزت الظفر عليها يلزمك أن تؤيده بوقائع شديدة .

استكمال تهذيب الارادة :

واستكمال تهذيب الارادة صعب على الجميع وأصعب على البعض غير أنه ليس فى سبيل انتصار الارادة عوائق لا تحطم لأن بقوة الحرية الممنوحة لنا من الله سبحانه وتعالى نستطيع التسلط على أنفسنا والحصول على الغايات الرفيعة السامية .

والخلاصة أن العقل الذكى ومحبة العمل والنظام وذوق العمل والحس الأدبى ليست مقصورة على بلد دون الآخر لأن لكل اقليم وبلد رجاله الذى يفاخر بهم .

قيمة العزم والحزم .

وكلنا نعانى تأثير المدرسة حيث يقدم المعلمون التدريس والتهذيب ونعانى تأثير الرفاق السوء الذين باهوجاجهم نألف فكر الشر إذن أمتنع على الشاب أن يتقى تأثير محيطه . إن صاحب العزم والحزم لا يكترث لشىء مما يصنعه الغير بل يعرف أن يكون نفسه ويجهد نفسه فى تحسين الوسط حوله ولا يزال حتى يبلغ الى تعديله أو تغييره .

هل يشك انسان فى أن هذا العزم الثابت قد يضيف قوة الى ونك وهل يرتاب أحد فى أن هذا العزم السكبير بحمله يقدم على انجاز العمل ؟ لم يقدر الاستهزاء أو التشهير مهابة الاعداء أو ابعاد الاصدقاء أن يزعزع ايمانه الذى لا يقهر .

كان لسائر رجال الاعمال العظام ايمان قوى بأنفسهم وهذا الايمان هو الذى صير القوة العادية الكامنة فى أولئك الرجال ضعفين أو ثلاثة امثال .

ويعزى نجاح معظم الرجال البارزين الى ثقتهم الهائلة بأنفسهم وهم يعتقدون كما كان نابليون مثلا يعتقد بأنه لا يعرف معنى العجز أو فتور الهمة فهو يقدم على كل شىء بذلك اليقين الحازم وتلك الثقة العجيبة التى تكسب نصف المعركة قبلما يخرج سيفه من غمده للقتال .

ومن الغريب المدهش أن العالم يذعن منهزما لرجل الحزم والعزم وأن العوائق تزول من طريق رجل العزيمة الماضية الذى يثق بنفسه « ان التراب يستحيل الى ذهب فى بوتقة الحزم والعزم والاقدام »

ومن المبادىء المتينة أنه لا توجد فى العالم فلسفة أو حكمة بها يقدر الانسان أن ينجز عملا منى أنس فى نفسه العجز وعدم الاقتدار .

ولا يوجد قوة تستطيع أن تقهر رجلا قويا يثق بنفسه ولا يكترث باستهزاء الناس ولغطهم وتنديدهم على صفحات الجرائد فان الفقر لا يخمد نشاطه والبؤس لا يعيقه عن مطلبه والعناء لا يثنيه عن عزمه قيد شعره .

أسباب الفشل :

كم من الزمان يستغرق نجاح شاب يحمل رأسه مستودعا لافكار الخيبة والانحدار ولا يعدل عن هذه الافكار حتى يرتوى ويشبع منها

وكم من الزمان يستغرق نجاح شاب يحقر نفسه ولا يتكلم الا عن الخيبة ولا يقلد الا الخائب فى السير والملبس ولا يكف عن ذكر المصاعب الغير المستطاع التغلب عليها التى تعترض مسيره ولا يخطو الا فى الطريق الموصل الى الخيبة والفشل ؟ لاشك أن نجاحه من المحال.

ويعزى فشل الناس الى أسباب ثلاثة . الشك واحتقار النفس وضياع الثقة فطالما أنت تجالس الذين كان نصيبهم فى الحياة الفشل وتنظر الى الحياة من الوجه المظلم وتنطق كلاما هو عين الشك والخوار وخمود الهمة فنصيبك الاخفاق وفشل المسعى فيجدر بك أن تحول وجهك الى جهة أخرى وتقطع تيار الفشل والخذلان وتملأ لبك غيرة وحماسة.

وتواصل مجهوداتك وأنت ستجد الاشياء قد تغيرت ولكن يجب أن ترى عالما جديدا قبل أن تعيش فيه لانك لاتفوز الا بما تراه وتعتقد به وتسعى فى الحصول عليه

وهكذا طالما نحن نستقى مسراتنا من الينابيع الصافية النقية والوسائل المشروعة البريئة فحياتنا تبقى فى أمان وسلام ونجاح ولكن الساعة التى فيها نبيح لانفسنا الاقتراب من الشر فى تلك الساعة عينها نكتب على أنفسنا كلمة الشقاء ونقضى على حياتنا بالحرمان من السلام والعزاء

ونفتح بابا للبلايا والنكبات وفى الحقيقة أن الحياة مملوءة بالكثيرين الذين يفجعون فى عقولهم وأبصارهم وأجسامهم ونجاحهم ومستقبلهم عن طريق الاباحة للنفس .

أن علة العلل الداعية الى فشل المساعى هى أننا لا نعتقد بانفسنا كما يجب . الا ندرك القوة الكامنة فينا وأن الانسان خلق ليرفع رأسه ويتصرف كالظافر لا كعبد الرق كالفائز لا كالمندحر ؟ أن بخس النفس حقها جريمة هائلة لا تغتفر .

أنت سيد الظروف :

إن الفقر مهما كان قاسيا والبؤس مهما كان قارصا فهذا أو ذاك لا يكون عثرة فى سبيلك لو أنكرت قوته واعتقدت بتفوقك على الوسط الذى تعيش فيه ووثقت بنفسك أنك خلقت لتسود على الذين حولك وأنك سيد الظروف لا عبدها .

اذكر وأنت فى طريق النجاح إن الايمان هو حلقه الاتصال التى تربطك باللانهائية وهو المرشد الذى يقودك الى الطريق الموصل الى القوة الغير المحدودة وهو حقيقة حياتنا الكبرى .

وإن الاعتقاد بالنفس يبيد أكبر اعداء العمل كالخوف والارتياب والتردد ويزيل الوف الموانع التى تحول دون نجاح ضعيف الارادة ومتقلقل الرأى — والفقر والفشل لمن ضيوف النفس والمصائب التى يخشاها الناس كثيرا ما تحل بهم وان القلق والهم

يضعفان قوتهم العقلية ويقللان من مرهفات قوائم المبدعه والموجدة لدرجة أنهم لا يستطيعون أن يستخدموها كما يجب .

واذكر أيضا أن التمنى لا يفيد ان لم تدعمه بالجد والعزم والنشاط وانك لا تستطيع تسلق جدران العز والشرف والنجاح إذا كنت تفكر فى الانحطاط .

الغيرة فى العمل :

لا تسمح لنفسك فى حال من الاحوال أن تقوم بعمل بروح العبوديه التى تفسد الخلق وتؤثر فى توازن القوى الفكرية ولا بأس اذا حكمت الظروف عليك بعمل غير مستحب اليك هذا وان فى كل ما تدعو اليه الضرورة نفع وفائدة وانما يتوقف ثمر العمل على وجهة نظرنا اليه وتصرفنا ازاءه .

ان الرجل الذى لم يقف على أسرار ابعاد العنا، عن طريق عمله بوضع نفسه الناطقة فيه لم يتلقن بعد المبادى، الاولية للنجاح والسعادة .

ومما لاريب فيه أنه فى استطاعة الانسان أن يشرف العمل العادى ويرفعه الى مصاف الاعمال التى نفتخر بها .

أما مصيبتنا هى أننا نكتفى من الحياة بالوجود فيها على أى حال وضيع ونقوم بعملنا كيفما اتفق من غير تفكير .

أن نوع عمل الانسان له أثر عظيم فى طريق حياته فان كان عمله وضيعا كانت أخلاقه وضيعة كذلك وكل ما يميز رجل النجاح

سكيرا أو مستهيجا فاحكم بأنه بعد أول سكرة أو فعلة شنعاء انقاد لميل الحاصل عنده من فعله الاول ولم يعد يسعى فى تحصيل عادة مضادة

أما الارادة المستقرة فى الخير فهى فى حاجة دائما الى جهد يدفعها الى طريق الكمال بعد النجاة من معارك الاهواء المؤلمة التى تستعيد النفس .

اذا لا تأذن لعادة شريرة بالدخول اليك واذا أنست من نفسك الالتصاق بعادة قبيحة فاقتلعها بما أوتيت من قوة وأغرس مكانها عادة صالحة وتذرع بكل الوسائل لانفاذ مقاصدك .

وعاقب نفسك اذا أغفلت وسقطت .

التمس من صديق أو مرشد لك أن ينبهك الى نسيانك

واحتفظ بما يلائمك من العواطف والافكار لاتهمل نفسك بعد انكسار ولا تجبن فى طلب الانتصار حين تجد التفاوت العظيم بين حقارة ما فعلت والغاية العظمى التى تصبو اليها ولك من نعمة الله أيضا عضد قوى لتمكين جهودك وايلائها بالخصب والاثمار الطيبة .

الفصل الثالث

obeikandl.com

نهوض النفس

النفس والوسط :

لو جمعتك الظروف بجيش غير الناجحين وتحدثت الى كل على حدة لوجدت جمهورا كبيرا قد فشلوا لانهم لم يوجدوا فى وسط يستنهض الهمم ويبث فيهم روح الشجاعة ولانهم لم يكن فيهم قوة كافية تساعدهم على التغلب على تأثير وسطهم الغارق فى بحار الرذيلة الباعث الى اخماد نيران الهمة ومعظم الناس الذين نجدهم فى السجون وفى مآوى الفقراء هم ضحايا تأثير الوسط الذى يحرك شر مافيهم بدلا من تحريك خير مافيهم من الميول — لذلك وجب عليك أن تقترب الى الذين يفهمونك ويعتقدون بك فمع العقلاء منهم حكم عقلك ومع الانسانين منهم توسل والتمس ومع الطغاه لاتضيع وقتك لانه لاجدوى من هذا ولا تحاول معاشرة إلا الذين يحاولون اتيان أعمال خالدة ويريدون أن يكونوا رجالا يشار اليهم بالبنان .

عاشر أصحاب المطامع النبيلة والأغراض السامية واختلط بأهل الجد والكد لان حب الرفعه والطموح الى العلى يعدى .

ان نجاح أفراد وسطك الذين يحاولون تسلق شرفات العز يبث فيك الشجاعة ويحضك على الجهاد فى ميدان العمل حتى تخرج فائزا منتصرا .

التربية بالتهذيب :

يشعر الرجل الغير المتعلم بحيرة دائمة لا يستطيع الافلات من أمامها حينما يصطدم بحقيقته أمام العلم وجماعة المتعلمين فيحاول ويحاول إلا أنه لا يقدر تحصيل الفائدة المرجوة من أى عمل ما مهما كان غنيا بالمواهب الطبيعية لانه جاهل وقيمته فى تحصيل الفوائد كاملة تكاد لا تساوى صفرا بجانب زميله صاحب المواهب الطبيعية ومقدرته العلمية لذلك لا يكفى أن يكون للانسان اقتدار فحسب لان الاقتدار لا يكون فعالا من غير تهذيب العقل .

إن الجهل يثمر بؤساً ورذيلة وجريمة لذلك ينبغى أن نخجل من البقاء فى ظلامه والعيش فى عالم يجاهد فيه الاعمى والاخرس والاصم وحتى المقعد والعاجز فى سبيل احراز القسط الاوفر من التربية الجيدة .

والسماع أسير لا يفارق سجنه ولا يستطيع أن يخرج الى العالم الخارجى فهو يركن كل الركون الى هبيده الحواس الخمس الذين يساعدونه فى جمع ما يلزم من معلومات تأتى معظمها عن طريق العين

تأثير الاستطاعة :

من يأنس فى نفسه الاقتدار فهو مقتدر وطالما أنت تضع أمام نفسك القدرة على تحصيل ما تصبو اليه فانت حاصل عليه ان آجلا وان عاجلا .

عن الرجل العادى هو أصرار الاول على تنمية مواهبه واظهار كفايته وقبول الثانى حالته التى هو فيها .

لو اقدمت على عملك بروح الاستاذ الماهر بدلا من روح العامل البسيط وانجزت عملك بغيرة وحماس .

لو عزمت أن تضع كل كفايتك فى عملك مهما كان نوعه فانك لن تشعر بعنـــاء وتعب فيه لأن كل شىء متوقف على الروح التى تنجز بها العمل فالروح المتقدة تملأ الانسان نشاطا وغيرة على أحقر الاعمال واما الروح المتقاعسة فتجعل من أقدر الناس عاملا بسيطا فى أعظم الأعمال وأشرفها .

إن أكبر دليك على وجود قوات فعالة فى داخلنا قد لا نعرفها أبدا هو ذلك الاقتدار الغريب وتلك الصولة الباهرة التى يظهرها عامة الناس فى أشد ضيقات الحياة ـ ولولا هذه الضرورة لقضوا الحياة خاملى الذكر .

قد تنكسر سفينة فى عرض البحر وتتهيأ الفرصة لماجر مسكين فيصير بطل الساعة ويستلم قيادة قارب النجاة ويصدر الأوامر وهو رابط الجأش ثابت الجنان كمن له السلطان المطلق بينما يكون الآخرون قد فقدوا كل شىء حتى المقدرة على التفكير .

وقد يندلع لسان اللهيب فى مستشفى فتصير فتاة حليفة الاسقام بطلة فى الحال وتنجز عملا لا ينجزه غير بطل جبار .

هل أنت راض عما أنت فيه :

إن صرف الحياة فى بيع وشراء الاكاذيب وفى خداع الناس. والانخداع بهم مفسدة لكل عنصر من عناصر الشرف .

إن فيك أيها الشاب الف دليل على أن الخالق لم يأت بك الى هذا الوجود لأعمال البغى والاجحاف بل لاعمال الحق والانصاف . فاجر العدل وافعل الصواب وقل الحق وأنت تجد مساعدة من الطبيعة والشريعة والعلم لان ادراك الصواب هو الغرض من وجود كل انسان .

اعكس ذلك وكل هذه القوات تتألب لقهرك وهزيمتك .

إن فى داخلك ميزان تتجه ابرته الى الحق والصواب بتدقيق أصح وأجزم من اتجاه ابرة الملاح الى نجمة القطب فان كنت لا تتبعها فأنت فى خطر الانكسار على صخور الجهل والطيش الكامنة فى بحر الحياة . ان ضميرك هو ميزانك الذى أعطى لك يوم نزولك فى بحار الحياة العظيمة وهو المرشد الوحيد الذى يرشدك الى ميناء النجاح .

ماذا يحدث للملاح لو رفض أن يسير حسب اتجاه ابرته بحجة عدم صحة اتجاه الابرة على الدوام الى الشمال لو حولها من مكانها فاتجهت الى اتجاه آخر ثم سار بموجبها ؟ انه لن يصل الى الميناء بسلام .

فاذكر اذا أن قليلا من التأثير مع قليل من القوة ليحولان الابرة عن اتجاهها الطبيعى فاحذر لئلا يؤثر الشر أو حب الذات على ميزان ضميرك . فلا تضعه فى سلاسل وقيود بل اتركه حراً لأن الرجل الذى

يعمل على تحويل ابرة ضميره عن اتجاهها الطبيعي أو يبعدها عن حبها الغريزي ويحاول أن يقنع نفسه بوجود أكثر من مقياس واحد للصواب وأكثر من نجم آخر يركن اليه ويعول عليه ويعزم أن يتبعه في بعض الأعمال المشكوك فيها فهو غريق جاهل يلقي نفسه في التهلكة ويوردها موارد الفشل .

كل الناس يحبون النجاح ولكن قليلين منهم يحبون الاشياء التي تؤدي اليه .

فلا يعمل بك أيها الانسان أن تختار لنفسك عملا يغري الصفات السافلة المنحطة الكامنة في طبيعتك على تمثيل دورها فيشتد ميلك الى الكذب والنفاق والغش والمداهنة والرياء وحب الذات والطمع والجشع .

إن هذه الصفات تجرد صاحبها من كل شرف فتساوية بكلب يختطف ما في يد أخيه أو بتمثيل في جسمه كالوحش المفترس وينقض عليه انقضاض النسور على الرمم لان بطنه لا تشبع ويده تأخذ ولا تعطي وقلبه لا يعرف معنى الرحمة وعيناه لا ينظران إلا للشر والظلام ونفسه ملأى بعوامل الظلم .

الانسان يحتاج الى شجاعة حتى يرفض أن يمشي ركبة لطرق مشكوك فيها كالكذب والخداع والغش . ويحتاج أيضا الى قول الحق حتى لو كان في الانحراف قليلا عن جادة الصواب كسب عظيم في الماديات .

انه يحتاج أيضا الى شجاعة حتى يأبى قبول الرشوة بينما فى الامكان أن يسبل عليها ستار الكتمان ويخفى أمرها عن كل انسان انه محتاج الى شجاعة حتى يقف منتصبا مرفوع الوجه مع أن الانحناء للناس وتقديم تحيات الرياء لهم يجلب لك خيرا وفيراً .

ويحتاج الى عزم ألا يضع فى جيبه قرشاً نجساً أو دنسا قرشا يقطر حزن انسان آخر هو فى اشد الحاجة اليه قرشا قد زاد فقر تعيسا ساذجا فقرا وتعاسة قرشا كان السبب فى اندحار انسان يكسب عيشه من أشرف وجوهه أو حرمه من نيل قسط من التربية والتهذيب .

هذا هو الغرض من الاخلاق الكريمة والخلال المحمودة هذا هو معنى الرجولة وغرضها ومظهر قوتها .

الغرض منها التحزب للصواب وللحق ومقاومة الباطل بصرف النظر عن النتائج .

الى الآن لم يكتشف للأمانة بديل . حاول الملايين من الناس ايجاد بديلا للأمانة ولكن قد ذهبت مساعيهم ادراج الرياح وهذا هو السبب فى ازدحام السجون بالمجرمين .

لا يستطيع المرء أن يؤمن بنفسه ويعتمد عليها اذا كان شاغلا مركزاً مؤسسا على الكذب والبهتان ولابسا ثياب تستر حقيقته أمام الناس واذ ذاك يصرخ صوت الناصح الامين فى داخله صراخا يسترعى الاسماع (وأنت تعرف أنك كتلة من الغش والخداع . وأنك اسمه الرجل الذى تتظاهر به أمام الناس) .

ان شعور الانسان بأنه يظهر خلاف ما يبطن يجرده من قواه ويضعف من أخلاقه ويلاشي احترامه لنفسه وثقته بها .

نحن بالفطرة نعتقد في الاخلاص ونعجب بالناس الذين يتعصبون للمبدأ . الذين يتخذون الحق والامانة مركزا لدائرة أعمالهم ليس من الضروري أن نكون واياهم على اتفاق انما نحن نعجب بهم لاجل قوتهم وحسن نواياهم وصراحة أفكارهم ورسوخ مبادئهم المتينة التي لن تتزعزع الى الابد .

لا تبع أيها الانسان الراغب في احراز النجاح أفضل ما فيك من شرف ورجولة الى رجل خائن لان في هذا مافيه من الغبن عليك واعتبر كل من يسعك شيئا من هذا القليل انه يهينك ويجحف بحقوقك

اعزم على الاتأخذ اجرة عمل تكون فيه أقل من رجل وألا تبيع اقتدارك وتربيتك وعزتك ومهارتك واحترام نفسك لانسان يكلفك أن تكذب بالنيابة عنه لا في كتابة ما ولا في مبيع بضاعة أو سلعة مغشوشة ولا في أي عمل نظير راتب أو مبلغ تأخذه .

اعزم على أن تتعصب للمبدأ مهما كان عملك وليكن شعارك من الآن أن تحترم الشخص لرأيه لا أن تحترم رأيه لشخصه واعزم على ألا تكون محاميا أو طبيبا أو غير ذلك من المناصب الرفيعة فحسب بل أن تكون رجلا في كل حياتك هذه من أولها الى آخرها .

أسعيد أنت ؟

خلق الانسان ليكون أمينا وليفتح مناهج الصواب والعزة . هذا هو قصد الله فى خلق الانسان فمتى أفسد الانسان طبيعته باظهار الغش والغدر والخيانة لا يستطيع أن يكون سعيدا لان جوهر السعادة وخلاصتها فى الامانة والاخلاص والصدق فمن طلب السعادة الحقيقية لنفسه ولقرينه وجب عليه أن يكون طاهرا مستقيما مخلصا ولكن متى حاد عن الصواب قيد شعرة اتخذت السعادة لنفسها أجنحة وطارت .

يالله من منظر مؤلم يفتت الاكباد أن نرى البشر يسعون وراء المال سعيا متواصلا محاولين استخراج السعادة والسرور منه نعم أنه يظهر أنه حبيب لكنه باقى مصحوبا بالقلق المستمر وفى هذا يجهلون أن ضالتهم المنشودة ان لم توجد فى داخلهم فهى غير موجودة فى مكان آخر على سطح الارض .

دعهم يجوبون القفار ويطوفون الوديان ويتسلقون قمم الجبال الشامخة فى طلبها ولكنهم لا يرجعون إلا فاشلين لان السعادة ليست إلا فيهم ومعهم .

ان السعادة صورة ذهبية وحالة من حالات العقل . هى مبدأ اولى ومن لا يفهم المبدأ فلا يستطيع ان يسعد .

ان مصدر كل شقاء وبؤس فى العالم وأصل كل جريمة تقشعر لهولها الابدان هو فقدان البشر فى فهم المبدأ الذى يقول صريحا « لن

يكون الانسان سعيدا حتى يتحد بأفضل ما فيه — حتى يتحد بألوهيته ويخضع لأوامرها ويضاع لرغائبها ويدوس حيوانيته ويخلع نيرها لئلا تقذفه الى سعير الشقاء والبؤس فلا غرو اذا قلنا ان الانسان لا يكون سعيدا وهو يحاول ان يوفق بين حياته وبين اميال الحيوانية لان إله الخير الساكن فيه هو وحده الذي يستطيع أن يصيره سعيدا وكلنا يشعر بوجود رجل آخر فى داخلنا وأن هناك رسولا سماويا دأبه السكوت يرافقنا فى الحياة من أولها الى اخرها هو تلك الذات الفضلى التى تنطق من أعماق طبيعتنا وتصادق كل عمل صواب وترتاح اليه وتذم كل عمل خطأ وتدينه .

لقد حاول رجال ونساء كثيرين فى كل العصور أستقاط هذا الناصح الامين وشراء استحسانه واخماد هذا الصوت بسرعة الانفعال والتاثير العصبى واخفائه تحت لذات الفساد والرذيلة إما بالادمان على الخمر أو بتعاطى العقاقير المخدره ولكن ذهبت مساعيهم فى هذا السبيل أدراج الرياح ولكنهم لم يكترثوا بنصحه وأهملوا أوامره ونواهيه وجربوا كل وسيلة فى أمكانهم للتخلص من توبيخاته الشديدة وتعنيفاته المرة التى تصلى كل من يصير هدفا لسهامه عذابا اليما اذا اتى عملا معيبا وعمد الى الاجحاف بحقوق الاخرين والحاق الضرر بعباد الله .

ولكن مهما أفرطوا فى اللهو وتمادوا فى الخلاعة ورشفوا من الكاس فليس فى استطاعتهم اخماد صوته الذى يكاد يمزق طبول اذانهم لانه لا يكف عن استحسان الجميل من أعمالنا واستقباح الفاسد منها

أن مسألة مسائلنا هى أن نملأ كل يوم من أوله الى اخره بضياء الشمس الجميل والمعيشة الصريحة الواضحة التى لا يقع للريبة عليها ظل والافكار العالية الدالة على الرقى حتى لا يبقى حيز تشغله التعاسة والبؤس والشقاء .

ان الافضال الصغيرة والالفاظ العذبة وأعمال البر والاحسان والبشاشة فى الوجوه والتشجيع على أعمال الخير وانجاز الواجبات بأمانة وخدمة الناس المجردة من حب الذات والعطف على الذين عضهم الزمان وحب الناس على الاطلاق ومعاملتهم بالحسنى وأمثال هذه الامور التى تعتبرها من البساطة هى الزم المستلزمات فى بنيان السعادة . وان المطمع المتجاوز حد الاعتدال والرغبة فى التقدم على الآخرين والجنون فى حب الظهور الكاذب وما الى ذلك من أمور الجهل والطياشة هى الاغذية التى تقتات بها ميكروبات حب الذات .

ان الامانة فى العمل والاخلاص فى المبدأ والصراحة فى القول وبذل أقصى الجهد والرغبة الشديدة فى استبدال أشواك الحياة بأزهارها والتفانى فى اصلاح الانسانية وتحسين حال أفرادها واسعادهم هى أفعل العلاجات وأنجعها فى ازالة التعاسة والبؤس من العالم وفى ايجاد السعادة الحقيقية .

قراءة أفكار الناس :

ان الاقتدار على قراءة أفكار الناس ومعرفة ما يضمرون لاول وهلة هو أكبر رأس مال للاعمال التجارية العظيمة . فاجتهد أن

تحرزه فالحذلقة فى قراءة طبيعة البشر فى نظر المحامى لاتقل قيمة عن معرفة القانون وفى نظر الطبيب لا تقل عن معرفة الطب ان الوجه والعين والاخلاق والاشارات والحركات وماشاكلهـــا لغة ورموزية لو اتاح لنا الحظ تفسير معانيها لتمكنا من معرفة أخلاق ومكنونات الرجال بمجرد النظر . فاحيانا نظرة واحدة من العين على غير علم من الانسان تكشف لك عما فى نفسه وتعلن لك أسراراً لا يجسر اللسان على النطق بها .

الشهرة :

الشهرة خطوة تعترضنا فى طريق النجاح وحب الناس للشهرة على نوعين : النوع الاول منصرف الى جمع المال والثانى متجه نحو تخفيف أثقـــال الحياة فبعض من الناس يصوبون كل اقتدارهم وتربيتهم وصحتهم وهمتهم نحو النوع الاول (جمع المال) ويسمون النتيجة نجاحا وآخرون يصوبون كل هذا نحو النوع الثانى (الاخلاق والافادة والنفع والمساعدة) وبعض الاحيـــان يقول الناس عنهم أن سهامهم قد طاشت بيد أن التاريخ يقول عنهم أنهم ناجحون .

إن الاسم الذى لم يقترب منه العار هو أثمن ما فى الوجود وكل كنوز الارض لا تعادل ثمنه .

فاحذر أيها الانسان لئلا تلوث إسمك بما يشينه — واعلم أن الشهرة الخالدة لا ينالها إلا الرجل الكامل فى كل شىء .

الصدفة والحظ :

قالو أن الحظ يدخل بعض القوارب فى المرفأ دون أن يدير دفتها إنسان . .

دع الناس يقولون ما يريدون عن عدم وجود الحظ والبخت لكن ينبغى علينا كلنا أن نسلم بأن الاشياء التى ليس للإنسان عليها سلطان كالحوادث غير المنتظرة ومجريات الحياة التى لا يعمل لها حساب لانها لم تخطر على بال كثيرا ما تحدث تغييرا فى مصير حياته .

إن المراكز المهمة لا تأتى دائما عن استحقاق أو نتيجة مجهود الانسان المتجهة مباشرة نحو غاية مخصوصة ، فتارة يصبح رجلا محكينا من طبقة العمال وارثا الثروة دون أحد الاقارب وأخرى تصبح فتاة فقيرة مالكة لثروة كبيرة وتشغل مركزا ساميا بزواجها من رجل غنى له مقام رفيع فى المجتمع الانسانى .

والحقيقة أن الحظ فى الشئون الانسانية يكاد لا يكون شيئا ولا موجودا إلا أنها كلمة تلائم هوى أهل الكسل . والحظ معناه الحقيقى هو أحكام توجيه القلب نحو المقاصد فاذا رأيت عند أحد زيادة علم أو فضيلة وأحيانا ثروة فاحكم فورا بأن علة تفوقه هى قوة إرادته .

علينا اذا أن نعرف أن الانسان لا بد أن يتحصل على المحل المناسب فى الوقت المناسب ولا بد من وجود الفرصة التى يتجلى فيها

الحظ بأحسن مظاهره وكثيرا ما نشاهد هؤلاء الذين يترقون الى مراكز لا يحصلون عليها بجدارة واستحقاق وربما يكون السبب في ترقيتهم حادثة أو مرض أو موت أحد الناس المتربعين في المناصب العالية .

ولكن مع هذا كله من هو هذا الجاهل الذي يقول أن الانسان العبقرية الصدف أو النجاح الحقيقي هو نتيجة الحظ وغرائب الاتفاق .

ان الحظ ليس الطريق الذي حدده الله للنجاح متى قارنا العدد القليل من المحظوظين بثروتهم أو مراكزهم للصدفه أو الحظ بذلك العدد العظيم من الذين يجاهدون جهاد الابطال في احراز غاياتهم

ان الناس الذين يتكلون على الحظ لا يظنون أن الاستعداد التام للنجاح يستحق شيئا من العناء وهم لا يرغبون في دفع ثمنه المعتاد بل يتوقعون المساومات ويفتشون على طريق أقرب للنجاح .

إننا نسمع كثيرا عن حظ هذا وحظ ذاك لكن ماذا ينفع وماذا يفيد لو لم يكن هذا وذاك مستعدين لانتهاز الفرصة عند مجيئها ولو لم يمرنا ويعدا أنفسهما لانتهازها واستخدامها .

ولم يوجد الانسان الذي بلغ شأنا يذكر إلا بعد ان حذف من قاموس مفرداته مثل هذه الالفاظ «السعد والنحس» ومن قواعد حياته ألفاظ «مستحيل وفلسفة لا أقدر» وقد لا توجد كلمة يساء استعمالها ويشط فيها أكثر من كلمة حظ .

إن الباب الذي أمامك قد يكون مغلقا لانك أنت الذي

أغلقته — أغلقته بافتقارك إلى تمرين وتدريب والى بعد همة ونشاط واقدام وربما كنت منتظرا ان يفتحه لك الحظ فأتى غيرك من رجال العزم وسبقك فى فتحه بنفسه إذ أن القوة تميل الى الرجل الذى يعرف كيف يستخدم الظروف ولقد صدق من قال .

«إن الحظ كد البحر والرجل القوى يسير معه لو كان متجها نحو المرفأ الذى يقصده ويصير ضده لو كان معاكسا له فى الاتجاه»

قال نابليون «ان الله دائما فى جانب الكتائب القوية» انه دائما فى جانب أكثر الناس استعدادا وأمضاهم عزيمة وأكثرهم سهرا وأفضلهم تدريبا . فلو فحصنا أعمال السواد الاعظم من الناس المعروفين بأنهم من أصحاب الحظ لوجدنا أن جذور نجاحهم متوغلة فى الماضى وقد تغذت من معارك كثيرة دارت رحاها حبا فى الانتصار على الفقر وكسر شوكته ويحتمل أن نجد الرجل (صاحب الحظ) مفكر دقيق لاتصيب سهام أفكاره الحقائق فى غير أكبادها وان قوته المميزة ارقى بكثير من غيره ويعمل كل شىء على نظام ثابته وترتيب وطيد الاركان وان عقله متجه لغرض مخصوص ويوفق بين أعماله وبين أغراضه ويفكر أفكاراً معقولة تفعل كثيرا فى سامعيها وهذا بخلاف الرجل (سىء الحظ) . فالحياة ليست لعبة من العاب الصدف والخالق عز وجل لم يضعنا فى مكان نكون فيه العوبة للظروف وتحت رحمة القضا . والقدر الذى لا قلب له فيرحمنا دون النظر الى أعمالنا وجهودنا .

الفصل الرابع

obeikandl.com

قيادة النفس

قيادة النفس وكبح الاهواء :

يقول برناردين دى سان بيير . العفة معدن القوة والجمال الادبى عند الجنسين .

والزواج غاية المحبة وتاجها فعليك ايها الشاب يامن تطلب حياة ناجحة أن تدخر عفتك وتصونها الى يوم زواجك أى تكبح جماح الشهوات الوضيعة بالامتناع عن الاعمال القبيحة .

وسن البلوغ هو وقت غليان الشهوات وثورانها ـ وقت الحرب العنيفة المستعرة لذلك كان أخطر طور فى حياة الشباب لذلك يجب على الشاب الاستعانة بارادة وثابة وحواس سليمة لاقناعها وقمعها والعفة فخر جماعة التاجحين المنتصرين وأن كان العالم يهز اكتافه لها استخفافا الا أن هذا لايزيدها الا مجدا واستحقاقا .

أما المشاهد القبيحة والصور الخليعة والروايات والمكتوبات المثيرة كل ذلك يزيد هياج الحواس ويجعل تلك الفضيلة صعبة المنال فالشاب ينبغى أن يودع شبابه لا فى تبذير مدخره من القوة بالافراط المخجل أو بأعمال الدناءة بل فى التأهب بالعفة الظافرة لاتمام العمل الانسانى الاهم .

أما المغالطات الفجورية لا يمكنها تحويله عما وطن النفس عليه من تطهير أمياله .

واضطراب جسده لا يبقى أن يحزنه ويغمه بل يسره من حيث أنه دلالة كبيرة على رجولته .

قال أحدهم : بعث شاب في سن العشرين الى أبيه رسالة جميلة يقول فيها « الطبيعة ترفع عندي صوتها كما ترفعه عند كل أحد وربما بصوت أقوى من صوتها عند بدوي غليظ غير أنه يمتنع على أن أسلك مسلك أبناء جنسي من الشبان أولا لأن لي روحا دينيا صادقا ولان لي من الشرف والمحبة للفريد مالا أملك معه أن أخدع أحدى الخلائق البارة وثانيا لان صحتي عزيزة علي الى حد أني لا أجازف بها في لجة ملتبسة ولذلك أستطيع أن أقول أمام الله أني الى هذا اليوم لا أعرف لنفسي سقطة أو وخما عليها »

وكل شاب لا يتصل البتة بامرأة شريرة فقد بدأ يحترم نفسه لان الاخلاق الرفيعة لا تملك الاتجاه الى شخص غير أهل بالاكرام والاعتبار وقد أجمع الناس على احتقار اللواتي يسلمن أنفسهن وأجسادهن لتجارة العهارة والفجور ويقول العلامة ليجوف « أنه لا يؤذي الشاب نفسه اذا انحرف عن طريق العفة بل يؤذي ابنه وبنى ابنه ووطنه »

والتسلط على النفس والحكم على أهوائها مع أنه يكون صعبا شاقا في أول الامر لا يلبث أن يهون شيئا فشيئا فيصبح ينبوع سرور ولا ينضب وكأن المرء ونفسه أثنان يحاول كل منها أن يملك الاخر بحكمه فمن غلب نفسه وحكمها هنئة بنصر مبين وفوز عظيم .

ويا ويح من كانت نفسه جموحا ترميه من أهوائها فى كل مأزق ووهاد أو حرونا لا تقدم به نحو مطلب أو مراد — وما الملك إلا من ملك النفس فكان الفخر تاجه والعزة عرشه والشرف صولجانه وكم من ملك يستبد بأمور رعيته تحكما وتسلطا وهو لنفسه أسير ذليل يقوم ويقعد طوع اهوائها وشهواتها وقد قال بايكون . الامراء كالنجوم علاء ولكنهم مثلها أيضا لا يعرفون الراحة ولا السكون وقال اللورد افبرى فى كتابه مسرات الحياة : لو كان بخت المرء من نحس وسعد ونصيبه من حياة وموت تبعا لربحه أو خسارته فى لعبة الشطرنج مثلا . أفلا يكون من العهاوة والتفريط لو بيلين اذ ذاك أن يغفل الآباء تعليم أولادهم اصول تلك اللعبة وقواعدها أو ما كنا نسدد سهام اللوم نحو الحكومة التى تترك النشأ يشب ويكبر على جهل الفرق بين كل قطعة والاخرى فى اللعبة .

وما هذا يا قوم إلا فرض اريد به تقريب حقيقة كبيرة من افهامكم على سبيل التشبيه فان الحياة تشبه هذه اللعبة انما الكون هو الرقعة وحوادثه وغرائبه هى القطع ونظامه ونواميسه هى الاصول والقواعد وكل فرد منا لاعب ضرورى — ويلاعبه مهندس الكون الاعظم الخفى عن الابصار . فهو يلاعبنا دائما بحق وانصاف وحاشا له ان يقترف غشا أو يخل بنظام . . ولكنه كذلك لا يتجاوز عن غلطاتنا وهفواتنا التى سببها الجهل والاهمال . فيا لسعادة الرابح ويا لشقاء الخاسر ! !

القناعة :

ولا ينحصر النجاح فى مسألة العفة فان أمام الانسان فضائل غير الطهارة ينبغى أن يشتهيها و يحصلها وشهوات غير الشهوة اللحمية ينبغى أن يغلبها ويؤدبها فالغضب والحسد والفظاظة والانانية والكبرياء والشراهة وسائر الشهوات والاميال البهيمية التى تطلب أغراضها ينبغى أن يلجمها العقل ويضعها ضمن حدود يقيمها لها .

والقناعة تستطيع تنظيم جميع الاميال أما الكبرياء والغيرة والحسد تبعث أحيانا على أعمال غير صائبة فهى تفسد حكم العقل وتضرب القلب بالجفاف وتولد عنده الطمع الذى لا يجهله أحد .

وليعلم كل منا ان الجهاد الذى يتطلبه الجنح شاق على الجميع لكنه أشق على من اوهنتهم الافعال المناقضه والعادات الرديئة ـ غير ان الشاب الذى صرع مقهورا بوثبة الحواس لا ينبغى له وان تجددت الوثبة بيأس من القيام . فاذا عرف انه يسعى بقوة فى اثر الحياة الفضلى فانه لا محالة حاصل على الظفر بعونة الله ـ مثله فى ذلك مثل جيش لم يفقد روحه المعنوية فظل يجاهد ويجاهد رغم الانكسارات التى قابلته حتى انتصر اخيراً .

وهناك وسائل أخرى تساعد على الوصول الى درجات النجاح منها الرياضة الجسدية وحفظ قواعد الصحة التى هى كالثروة تكتسب وتحفظ وتزاد واخصها الإمتناع عن المسكرات والكحول والاعتدال فى المآكل والنوم والنظافة الجسدية قال مونتسكيه « نظافة الجسد صورة نقاوة النفس والنظافة تستميل المحبة »

وللدين معونات اقوى بكثير من المعونات الطبيعية على اختلافها كالاعان وهو السلسلة الفضية لكل دين هو افضل الوسائط الواقية والمقربة الى الغاية والخلاصة ان السلوك على حسب الدين يلائم السلوك على حسب العقل ويرشده ويعضده ويكمله ويبلغه الى أعلى الرتب .

أما أفضل الرياضة الجسدية هو المشى المعتدل وليس لهذا النوع نظير فى حفظ الصحة وانتظام الهضم . وأما الركض فيزيد العضل نشاطا والتنفس اتساعا والنبض اسراعا . ويستلزم المجهود اخراج العرق وله فوائد اخرى كثيرة فى اخراج المواد البولية التى ينشأ عن عدم افرازها التسمم أحيانا .

أما المسكرات والكحول بجروائها كثرة الاوجاع والعلل والتعاسات فاذا كانت سكرة واحدة تشوش التوازن البدنى بضعة أيام وتنقص من القدرة على العمل فسكر يؤذى الاعضاء الانكباب على شرب الكحول .

النظام :

وعلى المرء أن يبحث عن أحوال نفسه ليكون على بصيرة من أمره وخير مواعيد هذا البحث كما يقرها معى أكثرية ساحقة هو المساء . فالشاب الذى يرغب أن يكون ناجحا هو الذى يصرف حصة من الوقت فى النظر الى ساعاته الخالية وبدين نفسه بلا شفقة ويبحث عن غلطه واغفاله واهماله لعلهما ناشئان عن ضعف ضبطه للأهواء أو عن افراطه فى الاصغاء لاغراء الغير . ثم يتبصر النتائج الوخيمة

التي تتولد عن تجديد غلطة ويأخذ على نفسه أن يصلح في غده ما فسد من أعمال يومه ويعقد القلب على أن يدون لنفسه في صفحة كل يوم نجاحا أدبيا أو عقليا أو ماديا وإلا لاغتاظ من نفسه وشكا اسرافه بالمواهب الطبيعية وبرأس ماله الثمين الذي هو الوقت .

ومن توهم أن الفحص اليومي لا يليق برجل العصر الحديث فقد ركب متن الشطط لان الكثير ممن نجحوا أدلو وبرهنوا على صحة هذه التجربة التي اعتبروها مفتاح الكمال .

وقد فطن الوثنيون الى هذا المفتاح فكان فيثاغورس يوجب على تلاميذه أن يفتشوا ضمائرهم صباحا ومساء بالاسئلة التالية . ماذا صنعت ؟ وكيف صنعت ؟ وماذا أهملت ؟ وكان سينكا يأمر بان يوجه المرء الى نفسه الاسئلة الثلاثة التالية « من أي عيب أصلحت نفسي اليوم ؟ وأية رزيلة قاتلت ؟ وأي نجاح أحرزت ؟

وفوق هذا وذاك القدوات الصالحة التي هي أقوى في الغالب من الافكار لذلك كان اختيار الرفاق وأهل العلاقات أمرهم في حياتنا وله شأنه في تهذيب الارادة .

فالواجب علينا إذا اختيار الشبان الممتلئين مروءة واقداما ومحبة للعمل وحفظا على الواجب في عشرتنا . فاذا كنت تختار لك معلما للرياضة أو للموسيقى أو للحساب أو للغات أو لغيره فلماذا لا تختار لك معلما لتقوية ارادتك .

وأي رجل له كفاءة التبحر في علوم القلب البشري والشرائع

الادبية ليملك مباشرتها على الوجه الافضل ويشجع الجهود إذا نالها الفتور أو الهبوط . أليس العلم موجود داخلك وكما سبق وأسلفنا الذكر أنه هو بعينه الضمير .

والملابسات والظروف العارضة والوسائط التى مر ذكرها وان كانت ليست كلها فى مرتبة واحده من حيث الاهمية الا أنها جميعا تدعو الى ضبط النفس أو المقاومة أو الثبات فى النظام . وان سلوك هذا الطريق يصير صاحبه مالك لارادة قوية يستطيع بها الارتقاء الى ما فوق مرتبة العامة بكثير .

السعى فى طريق الصلاح :

يقول غونوه « الانسان ينحنى أمام النبوغ ولا يهتز الا أمام الصلاح »

وحياتنا الحاضرة تقضى دون شك الى ارادة قوية فلا ينبغى ان يبلغ بك التصلب حد المحور من ذهنك ان لك قلبا وانك تصير قاسيا خشنا عاريا من الرأفه .

والخوف كله ان عكفت على تهذيب الارادة بكل شدة يمسى عكوفك خطراً ما كنت تتوخاه فكان ان يرفعك ويعظم قدرك يقرر فى نفسك ما يسميه نياتش الفيلسون الالمانى ارادة القوة وهى شهوة متصلفة وجهتها التسلط والتكبر فتجعلك قاسيا لا ترأف بضعيف بل تطيب نفسك صورة وحشية بارن تفتح لك طريقا وانت تدوس وتسحق الآخرين ويقول نياتش لابناء وطنه فى كتاب له « صيروا قساة

وهذا مبدأ لا يستميل الانسانية وواضح في عنوانه المناقضة لتوقان الانسان الى القسوة العاريه من كل رحمة .

والرجل القاسي القلب ينفر الناس منه طبعـــا ويخشون قربه لخشونته والعكس فرقيق القلب يلتف الجميع حوله لطيبة وتواضع قلبه.

قال بوسيه « اول ما كون الله قلب الانسان جعل الرأفة فيه علامة لليد الالهية التي برز منها »

وقال لاكوردير « الرأفة اشبه الاشياء بالله وأكثرها اتحاداً لسخط الانسان فلا بالمجد ولا بالمحبة يقاس ارتفاع النفس بل بالرأفة .

ولما كان القلب المصدر الاول للخير فقد لقبه العلماء الاخلاقيون بانه اجمل صور العقل لانه يهيء الوضوح ويثير في داخله زيادة الرأفة والسخاء.

الطموح وطلب العلا :

اذا كانت الشهرة آخر ما تبتلى به النفوس الكبيرة فالطمع اول ما يحل بها من المرض والضعف اما المطامع اذا نبلت غاية وقصداً كانت عوناً كبيراً على اتيان المكارم والمحامد وقد قال شيشرون لقومه « لو لم أكن تشربت منذ الصغر حب المجد والفضيلة وتمشقتهما قلبي ونفسي جميعاً لما كنتم ترونني اليوم معرضاً هذا الجسم لكل خطر وتهلكة غير هياب ولا وجل . ولما كنت ابذل النفس والنفيس فداء لقومي وأبناء وطني وما دأبي هذا إلا داب من أحب الفضيلة والمجد » وصدق الشاعر إذ يقول .

من طلب العلى من غير كد ، أضاع العمر فى طلب المحال

فالجد ثم الجد والعلا نهاية حسن البلاء .

على أن النفس لا تكلف فوق طاقتها لانه رب اندحار هو الانتصار بعينه ورب غالب يكون بالحقيقة مغلوبا . والنصر حليف الاقدام وحسن البلاء ومهما حبطت مساعيك فجب الانيأس او تفقد الرجاء لانه كم من مجاهد تعانده الايام وتمنعه عن المرام غير ان حقيقة الامر كله هو ان : (كل من جد وجد . فوزا وللنجاح ورد) فمن أراد تحقيق النجاح فليشمر عن ساق الكد والاجتهاد ويجد فى السعى اليه منتهزاً كل فرصة تقابله باذلا خير ما فى وسعه وطاقته فان هذه طريقة مثلى للنجاح والفلاح ويجب الا نحتقر الفرص واهمية اغتنامها عند سنوحها لان الفرصة ان ادبرت فلن تقبل بل هى (ان فاتت ماتت)

وقد ورد فى التاريخ القديم ان بالمدن اليونانية كان تمثال مكتوب عليه حديث شهرى بين أحد المارة وبينه تشرح مغزى اقامة التمثال واليك المحادثة .

« ما اسمك أيها التمثال ؟ »

« يدعونى الفرصة »

« ولماذا انت واقف على أطراف اصابعك ؟ »

« لارى انى لا ابقى الا دقيقة واحدة »

« وما هى الاجنحة التى على قدميك »

« لارى كيف أمر بسرعه »

« ولكن لماذا هذا الشعر الطويل على جبهتك ؟ »

« لكى يقبض على الناس حينما يرونى »

« اذا ما سبب صلع رأسك من الخلف ؟ »

« لارى انى إذا مررت مرة فلا يمكن القبض على »

« فاذا حسبما لنا فرصة فلنعمل الخير للجميع »

ومن اراد الوصول فى جهاده الى هدفه فليتقدم إذا حق الاقدام لا يثنيه طعن الرمح ولا ضرب السهام — فان الجراح التى تصيب الباسل المقدام — ليلهيه عنها اقدامه فتكاد تكون عديمة الآلام . على أنه قبل التغرير بالنفس أن يتحقق الخاطر وليتظر الى المطمع الذى يطمح فيه والغاية التى يرمى اليها اهما جديران بمخاطرته وتفانيه . حتى إذا الفاهما كذلك حق له بل لزمه أن يندفع الى الامام ناسيه ما وراءه وما سوله .

والاسكندر مثال الطامع لم يكن يهمه شىء سوى الغلب والانتصار حتى أنه كان يغار من أبيه ولا يفرح كثيرا بغلبائه وفتوحاته ظنا منه انه إذا تم لوالده تدويخ الممالك فى حياته مات وتركه محروما لذة الكفاح والتغلب بسيفه وذراعه .

أما الشهرة فهى نوعان محمودة ومذمومة فمن الناس من يذيع صيته فى الخافقين لفرية أتاها أو لمظلمة أولاها ومنهم من يعرفون

ويخلدون بفضائلهم وطيب آثارهم وشتان مابين الفريقين . لانه خير للواحد ان يعيش مجهول الاسم أو بلا اسم بالكلية من اشتهاره بالقبح والمنكر من الصفات والفعلات .

وإذا تأملت صفحات التاريخ وجدت الملوك والقواد يذكرون ويوصفون سواء غالبين أم مغلوبين وراجحين أم خاسرين .

أما إذا نظرنا بعين الحق والانصاف الى كل من الاسكندر ونابليون مثلا لم يسعنا إلا الاعجاب بالرجلين لبأسهما وشدتهما على أننا نأسف لهمة ونشاط صرفا فى غير وجوههما — فأين ملك الاسكندر اليوم ؟ وكذلك نابليون لم يترك فرنسا الا أضعف وافقر مما كانت عليه قبل زعامته وقيادته فلم يكن مجده الا كالدخان الذى كان يتصاعد من أفواه بنادقه ومدافعه .

أما المتفانون المتفادون فى خدمة العدل والانسانية فانهم أصدق شهرة وأخلد ذكرا . ونذكر فى هذا المقام ان الساسة والقواد العظام يشتهرون وينتشر صيتهم فى كل فج وصوب طالما هم احياء يرزقون .

أما الشاعر والفنان والفيلسوف فحياتهما بموتهما وشهرتهما أطول مدى من سواهم . وقد زعم وردسورث أنه انما تقام النصب والتماثيل لارباب السياسة والحكام لانهم أقرب الى النسيان من غيرهم من أهل الذكر . أما الشعراء فانهم وان ماتوا ليحيون فى دواوينهم وآثارهم وعندى ان غزاة العالم وفاتحى بلدانه الحقيقيين انما هم اولو الالباب

لا رجال الطعان والضراب . فأين اسكندر الاكبر وأمثاله من كنفوشيوس وأرسطوطاليس وأفلاطون اصحاب المذاهب العلمية والفلسفية الخالدة .

المحبه .

المحبة صديقة المرء في جميع أدوار حياته فهي في الطفولة والصبوة (محبة الابوين) وفي الرجولة (محبة الزوجة) وفي الشيخوخة (محبة البنين) عدا محبة الاخوة والاخوات والاقارب والاصدقاء.

أن المحبة التي تؤول الى الزواج هي موسيقى الحياة وجمالها السماوي ذكر أفلاطون في أثاره أن :

« الحب هو الباعث الوحيد على التفاني والتضحية بالنفس فدى لاحبابها ولذلك قدمت الستس نفسها للموت والهلاك فداء لزوجها الذي لم يعده أحد سواها ولقد كان حينئذ أبوه وأمه حيين يرزقان ولكن محبتها فاقت محبتهما وتركتهما منه بمنزلة الغرباء. وقامت هي نفسها بغرض الاخلاص له والغيرة عليه فكتبت لها حسنه عظمى وفضيلة كبرى وكان من ثوابها أن ميزتها السما. بعد موتها بحق العودة الى الارض تكريما وتشريفا فان فعلها لم يكن زهيدا طفيفا »

وقال أغاثون أن : الحب علة الحركة في النفس وهو مصدر اللطف واس الصداقة وهو عدو الخشونة ومصلح العداوة بل هو فرح الصالح وعجب الحكيم وبهجة الالهة يغليه ذووه ويتطلبه معدوموه.

كيف لا وهو أب الرقة والرفاهية والرغبة والولوع والدماثة واللياقة وابن الصالحات وعدو الطالحات بل هو مجد الاله وفخر الناس وقائد الانام ودليلهم الامين »

أما أصل هذه العاطفة وتاريخ تولدها في القلوب مما شغل العقول والالباب وحار الفلاسفة فيه حيرتهم في أصل الشر وماهيته

بعد خلقة حواء أخذ الواحد يسعى في طلب الآخر ليلتقيا ويحتمعا فالى ذلك القدم يرجع عهد تطلب الفرد الآخر وحب الاجتماع لان الفرد وحده ليس الا جانبا ناقصا وحق كل ناقص أن يطلب الكمال واذا ما وجد القسم الواحد قسمه الآخر امتزج الزوج وهاما وتحابا ولم يعد يطيق الواحد عن الثاني ابتعادا فيسيران في سبيل الحياة يدا بيد وجنبا الى جنب بدون أن يستطيعا تفسيرا لذلك التعلق الشديد لان الشوق الذي يشعران به لا يظهر كانه شوق المحبين بل كنزعة في اعماق النفس تميل بهما هذا الميل ولا يعلمان ماهي ... ومهما يكن من ذلك فان في القلب غريزة طبيعية تميل به لاول وهلة الى الشخص او عنه وقلما يحتاج ميله الى تعديل أو حكمة الى نقض وابرام وماذلك الا لان الحب فطرة .

والحب مقرب الابعاد ولاشأن له بالمكان أو الزمان فهو موجود في كل زمان ومكان . قال فكتور كوزن « الخيالي يعوزه الحقيق ليكون حيا ، والحقيق يعوزه الخيالي ليكون جميلا فالاثنان صنوان لا يفترقا اذ كل منهما تتمة للآخر » .

وقال ايضا . ما الحقيق والصالح والجميل الا صور ومظاهر من غير المحدود واننا فى حبنا للحقيقة والفضيلة والجمال لمحبون عابدون لذلك الوجود الذى لا حد ولا نهاية له فمحبة غير المحدود متضمنة فى محبة مظاهره .

وحيث ان الحب له قيمة فى ترقية وارهاف حس الانسان السائر فى طريق النجاح فلا مانع من ذكر بعض اقوال شعراء العصر الحاضر فمن اقوالهم « ان الحياة بغير الحب كشجرة بغير ازهار ولا اثمار والحب بغير الجمال كازهار بغير عطر واثمار بغير بذور . فالحياة والحب والجمال ثلاثة اقانيم فى ذات واحد مستقلة مطلقة لا تقبل التغيير والانفصال . الحب معرفة علوية تنير بصائرنا فنرى الاشياء كما يريها الاله . وهو شعاع وهاج ينبعث من أعماق الذات الحساسة ويثير جنباتها فنرى العالم موكبا سائرا فى مروج خضراء والحياة حلما جميلا قائما بين اليقظة والنوم . الحب يقظة تتناول الموت والحياة ويبتدع منهما حلما أغرب من الحياة وأعمق من الموت . وهو كلمة من نور كتبتها يد من نور على صحيفة من نور . »

اكرام الوالدين :

من لا يحب والديه يصعب عليه الارتقـــاء الى درجة عالية من الاخلاق .

والبيت هو المدرسة الاولى والفضلى وهذا يتفق تماما ونداء علماء التربية بضرورة الاهتمام باصلاح البيت ويجب ألا يفوت كل منـا

وهو فى طريق النجاح ما عاناه أبوه وقاسته امه من هموم واسهار واوجاع وغموم ومن نسيان أنفسهما مرات كثيرة ليتعاه بالرغد ويعدا له مستقبلا رغيدا . يجب أن يتأمل جهاد وأتعاب أبيه المتواصلة المنزهة عن الغرض والانتفاع . ذلك الحنان الذى لا شىء فى الطبيعة يماثله ـ يجب أن يقرر أنه عاجز عن مكافأتهما حتى ان جد فى سبيل ذلك طول الحياة . والانسان الصالح يحب والديه فى كل سن وحال ويلقاهما بأدلة الاجلال والخضوع كل حين لانهما أعطياه الحياة . وإذا أصاب سعادة وخصبا ونجاح أمور عزا الى تربيتهما وبركتهما ما نال من الفوز وصنع الخير .

من البيت يتعلم الفرد كل الخلال المطلوبة تقريبا ففيها يتعلم الاولاد من أقرب الموارد الاتحاد والتعاون والتضامن فى المنافع والكرامة والفرد يمكنه ألا يحول حريته الشرعية الى مصيبة وتمرد وإذا علم أن أبويه على خطأ فلا يقاومهما بخشونة ولا يجادلهما بشدة وعنف

هناك أفراد لا يكتفون بان يعاملوا والديهم كأمثال لهم فيقفون تلقاءهم موقف الرئيس لقاء المرؤوس مزدهين بمعارفهم أو بسعة مالهم أو برفعة مقامهم وهذا عين الازدراء القبيح الممقوت .

ان باستور العالم الشهير يعطى لنا أجمل قدوة وذلك أنه شهد تدشين صحيفة تذكارية لمواطنيه فقال : (أى أبى وامى أى فقيدى العزيزين . يامن عشتما عيش التواضع فى هذا البيت الصغير . مذكما قد أخذت كل شىء ولكما أنا مدين بكل شىء فلتكونا مباركين يا والدى العزيزين لأجل ما كنتماه) .

ثم قال أيضا :

أيتها الأم الباسلة لقد نقلت حماستك الى فان كنت قد جمعت بين عظمة العلم وعظمة تقدير الوطن فذلك لأنى امتلأت من العواطف التى رويتنى بها . وأنت يا أبى العزيز الذى كانت حياته شاقه كمهمته لقد أريتنى ما يستطيعه الصبر مقرونا بالجهد الطويل - لك الفضل كل الفضل فيما لى من التجلد تجاه العمل اليومى .

ويقول آخر من شعراء العصر عن الام . أمى ! ان أعذب لفظة فى الشفاه هى لفظة (الأم) وأجمل مناداة فى الوجود هى « يا أمى ! » فالأم هى العزاء فى الحزن والرجاء فى اليأس والقوة فى الضعف وهى ينبوع الحنو والرأفة والشفقة والغفران فالذى يفقد امه يفقد صدرا يسند اليه رأسه ويدا تباركه وعينا ترعاه وتحرسه . فمثل هذه العواطف النبيلة عواطف المحبة والشكر والعرفان بالجميل الا تزيد شعاعا لا معا ونقيا على مجد هؤلاء العظماء .

أما اذا اختلفت الأغراض يجوز للأولاد أن يقاوموا ارادة والديهم بتحفظ وذلك فى موضوعين . الأول اختيار المهنة والثانى اختيار الزوجة بعد اتباعهما بمطالب قلوبهم .

أثر المرأة فى حياة الرجل :

تستطيع الزوجة أن تجعل بيتها جنة اذا أحسنت التصرف وحكمت عقلها وهزمت اجباتها وعاجلت الطوارىء المفاجئة بالصبر

كما أنها وحدها تهدم سعادته اذا تحكمت فيها الغيرة وخرجت الى طورها الشديد المجامح الذى يصبح بعدئذ نوعا من الجنون وتلك الغيرة المجنونة كفيلة بأن تجعل المرأة شيطانا رجيما والحياة المنزلية جحيما لا يطاق . ولديك فيما يلى الامثلة الكافية .

حكمة المرأة :

عرفت سيدة متزنة أن زوجها يصادق امرأة أخرى ترسل اليه الهدايا الفاخرة وتبعث اليه برسائل يومية ولاحظت أنه أصبح كثير التغيب عن منزله حيث يمضى الوقت مع صديقته — لم تثر الزوجة بل كانت تسلمه الرسائل التى تعرف أنها من صديقته دون أن تفضها ودون أن تسأله شيئا عنها .

وكان هو بدوره يقول لها فى بساطة أنها واردة اليه من صديقة يعطف عليها لأنها فقدت زوجها وليس لها أقارب . ثم أخذ شيئا فشيئا يحدثها عن مقابلاته لها زاعما أنها بدافع العطف والشفقة الى أن كان يوم عيد وبينما كان يتناول الطعام مع زوجته قال لها واجما أن صديقته مريضة وأنها تقيم فى احدى المصحات . فما كان من الزوجة إلا أن أظهرت تأثرها واقترحت أن يرسلا اليها هدية لمناسبة العيد تدخل عليها السرور . وفرح الزوج لهذه الفكرة وأثنى على زوجته الطيبة قلبها .

واختار الهدية وكتبت الزوجة بخطها كلمة عبرت فيها عن تمنياتها لها بالشفاء العاجل وكتب الزوج بخطه اسم المريضة وعنوان المصحة

ولما وصلت الهدية الى الصديقة عرفت صاحب كل من الخطين فأدركت أن الزوجة لا بد وأن تكون قد وقفت على علاقاتها بزوجها فشعرت بتأنيب ضمير لها ، وقطعت علاقتها بزوجها ونصحته بان يكون وفيا مخلصا لزوجته الطيبة التي لن يجد لها مثيلا وكان هو في الوقت نفسه قد قدر موقف زوجته ونبلها فآل على نفسه إلا أن يحيطها بكل عنايته واحترامه وهكذا مرت العاصفة بسلام .

طيش المرأة وجهلها :

تزوج نابليون الثالث أوجيني ، وهي ابنة دوق أسباني ، وما لبث ان توج امبراطورا على فرنسا فأصبحت اوجيني امبراطورة فرنسا وعلى الرغم من انها كانت تتمتع بالحياة والصحة والجمال والشباب والمجد مما لم تكن تحلم به ، إلا ان الشكوك والهواجس والغيره كانت تؤثر في سلوكها بصورة تدعو الى الدهشة والتأمل ، فكانت تتصور دائما ان الامبراطور يجلس في مكتبه مع إمرأة اخرى فتثور وتقتحم المكتب وتوجه اليه اشد الاهانات ايلاما للنفس غير عابئه بكبار رجال الدولة المجتمعين معه . كما كانت لا تتورع عن التدخل في كل شئون الدولة وتلزمه ان يطلعها على ماقاله في يومه كما كانت دائمة البحث في سجل التشريفات والمقابلات والغرض منهـــا ، وضاق الامبراطور ذرعا بهذه التصرفات المشينة التي جعلت من زوجه ومنه اضحوكة وسخرية ومع انه كان يمتلك القصور الفخمة الرائعة إلا انه لم يكن ليجد ركنا صغيرا يأوي اليه دقائق بعيدا عن زوجته ،

وكان شبحها يلاحقه اينما ذهب حتى اصبح فى حالة نفسية شاذة واصبحت حياته مأساة ، بل جحيما متأججا النيران وقد وصفها (برنهاردت) فى كتاب عنوانه « حياة الامبراطور المحزنة » ذكر فيه أن الامبراطور كان لا يعرف كيف يتخلص من مضايقات وتنكيد زوجته المستمر حتى لقد كان يؤثر الموت لعله يجد متنفساً لهذه الآلام المبرحة . وكان يخرج فى طرقات المدينة حتى يسرى قليلا عن نفسه بمشاهدة الناس وهم يمرحون ويعبثون فكان يغبطهم على ما هم فيه من سعادة متمنيا لو كان مثلهم .

مثل أخر رائع :

مأساة الكاتب الروسى العظيم « الكسيس تولستوى » فعندما كانت زوجته على فراش الموت قالت لابنائها « انى اعترف لكم بأنى كنت السبب فى موت ابيكم) وطلبت منهم الصفح والمغفرة كما رجت الكهان ان يصلى من أجلها .

والواقع أن تولستوى تزوجها عن حب عميق متبادل ، أوحى اليه بأروع ما كتب فى الادب وكان كلاهما غنيا يتمتع بالصحة والشباب والمركز الاجتماعى الممتاز . وكانا موضع الاحترام والتقدير من الطبقة الارستقراطية الروسية كما كانا موضع الحب والاعزاز من الشعب .

وفى خلال السنتين الاوليين من زواجهما كانا يصليان معا فى مساء

كل يوم ويطالبان الى الله أن يبقى لها حبهما المتبادل وسعادتهما التى كانت مضرب الامثال .

ولكن سرعان ما اكفهر الجو وتلبدت الغيوم فى سماء بيتهما المثالى وذلك حينما أخذ تولستوى يعيش عيشة تقشف وزهد عملا بوصايا السيد المسيح ويدعو فى كتاباته الى الاهتمام بالطبقات الفقيرة ويحسن الى الفقراء من ماله الخاص ويقدم مؤلفاته الى الناشرين دون أن يأخذ عنها أجراً . على أنه وبهذا كله لم يقصر فى واجباته نحو زوجته وأولاده فكان زوجا ووالدا مثاليا ولم يحاول أن يتصل بأية امرأة . الا أن زوجته كانت تريده أن يحيا حياة الطبقة الارستقراطيه ويغشى المجتمعات الراقية الممتازه وتسعى دائما الى الحيلولة بينه وبين هواياته لا بالاغراء أو التأثير أو اللباقة وانما بالتهديد بقتل نفسها . وكانت فى كل يوم تثور ثورة عنيفة تجعلها فى حالة عصبية مثيرة للحزن والألم ثم تمسك فى يدها قارورة مملوءة بالسم وتحاول أن تتناول ما فيها فيمنعها أولادها من ذلك وبعد أن تقضى فى هذه الازمة العصبية ساعات ، تأوى الى فراشها بين بكاء الابناء وحزن الزوج وعناية الطبيب وقد دامت هذه الحالة مدة خمسة وأربعين سنة ، تحمل « تولستوى » خلالها من الآلام والمحن والضيق ما يفوق طاقة البشر وظهر أثر هذه الحالة النفسية فى مؤلفاته الاخيرة .

وكانت زوجته فى آخر أيامه ترجو منه بعد أن تفيق من نوبتها أن يقرأ لها الصفحات التى كتبها عنها قبل زواجهما ، وظل حاله هكذا الى أن كان يوم وقد فاض به الالم فخرج من منزله لا يلوى على

شيء عائما فى الطرقات . وبعد أيام اكتشفت جثته ملقاه بجوار احدى محطات السكة الحديدية ووجدت فى سترته ورقة كتب فيها أنه يرجو ألا ترى زوجته جثته .

مثل آخر :

ابراهام لنكولن وهو من أعظم رؤساء الولايات المتحدة عندما تزوج كان محاميا شهيرا وكانت زوجته من أسرة كبيرة عريقة . وأقاما عند اهزواجهما فى نزل (بفسيون) وفى اليوم الثانى وبينما كانا يتناولان طعام الافطار فى حجرة المائده مع باقى النزلاء إذ أخذت الزوجة كوبا كبيرا مملوءا بالقهوة الساخنة وقذفت به زوجها فسالت القهوة على وجهه ويديه فما كان من صاحبة النزل ألا أن أحضرت منشفة وأزالت آثار القهوة عن وجهه وأسعفته . ولنتصور موقفه الحرج بعد ذلك . ترك النزل وأقام فى فندق آخر مع زوجه أيضا التى كانت دائمة التهكم عليه والسخرية منه ، وكانت لا تعنى به ولا تطيع له أمرا تنتقده بشده ومراره وكانت تقول له أمام الناس أنه يشبه المريض بالسل لنحافته وأن شكله لا يروقها وأنه من سوء حظها أن تزوجته ولذلك كان يتهرب منها ويقيم وحده فى مدينة أخرى له فيها أعمال قضائية ويسكن الفنادق التى لم تكن مستكملة لكل أسباب الراحه . إلا أنه كان يجد فى ذلك راحة وهدوء لا يجـــدهما عندما يقيم مع زوجته .

فمن منا كان يتخيل هؤلاء العظماء الثلاثه وهم من جنسيات مختلفة اجتمعت لهم كل أسباب النعيم ألا أنهم كانوا تعساء الى هذا الحد .

الفصل الخامس

obeikandl.com

متع ذاتك

متع ذاتك بمسرات الحياة البريئة ولا تحمل نفسك همومها واكدارها فتصل الى غايتك المنشودة .

يذهب رسكن فى زعمه الى أن الدنيا حافلة بالحسنات والطيبات ويجمح على قلب الانسان ونفسه باللوم والتأنيب لما أنهما لا يحسنان انتهاز الفرص واغتنام المسرات .

على أننا لا يسعنا أن ننفى وجود المصائب والاحزان . إذ لابد لنا من مقاساة الآلام واحتمال الاوصاب ومعاناة الهموم .

وقد قيل أن الغبى لا ينجيه من افات حزنه إلا مرور الزمان أما الحكيم فيتدارك أمره اذا دهمته الاحزان (ولا يفرق أحد فى بالوعة اليأس إلا كان هو الرامى بنفسه فيها)

ثم أن المصائب الكبرى كالمرض . والموت ليست هى ماتسود وجه الحياة أمام أبصارنا وبصائرنا لانها ليست نادرة الوقوع بل هى داخلة فى باب المحتم والمألوف فهى لذلك خفيفة الوطأة ولكن هناك غيوما يومية فى جو العائلة تكدر صفاءها . غيوما تتصاعد من بحر سوء التفاهم وتتلبد

تحت سقف البيت ثم تهطل من عيون أهله دموع لوم وعتاب وصفح وتسامح وإلا كانت حجابا مسدولا على النفس يعذبها ويشقيها.

وهكذا فلنذكر أننا نجر شقاءنا بأيدينا ونجنى على أنفسنا أكثر مما يجنى علينا .

وهناك أيضا نوع غريب من الشقاء هو انتظاره وتوقعه قبل وقوعه . وكم من مصيبة نتوهم وقوعها ولا تقع .

انها حقيقة راسخة وبلية أن يشغل الانسان فكره ويقلق باله بدون داع تارة ويثقل كاهله ويحمل نفسه أعباء هو فى غنى عنها فيعيش وصدره مملوء بشواغل لا آمال وما الحياة الا طريق أوله المهد وآخره اللحد . ويؤخذ مما سبق أننا لا نزيد المصيبة الا جسامة كلما جزعنا لها وتخوفناها .

كثيرة هى المصائب التى نمنى بها فى هذه الحياة ولكنها أنواع . فبعضها حقيقة شديدة الوطأة على النفس ولاسيما تلك التى نجرها على أنفسنا ونجنى بها على ذواتنا - ولكن البعض الآخر وهو الاكثر ليس إلا أشباح اتراح وخيالات مصائب موهومة يكفى أن نتفرسها بعين الجرأة والثبات لنعلم أنها ليست من بنات الدهر بل من بنات التصور والفكر .

قال فى ذلك بلوتارك مخاطبا معاصريه .

«ولسنا لنخشى أن نذوق مرارة النفى التى ذاقها ارستيدس فى نفيه أم نتجرع غصص الضيم التى تجرعها انكاغوراس فى سجنه أو أن

تنحط الى درجة الفقر المدقع التي عاش عليها سقراط أو أن نظلم بمثل الجور الذي حكم به على فوكيون ولكن الفضيلة جديرة بحبنا لها حتى ولو سامنا الدهر من أجلها مثل هذه من صنوف المشقة والعذاب . وأخلق بنا أن نكرم النفس اكرامها الحقيقي غير مكترثين للأحوال الخارجية التي تحدق بنا .

نحن غالبا ما نعظم المصائب والمصاعب بفرط ما نصرف النظر اليها عوضا عن أن نميل به الى سبيل النجاة منها .

والاخطار التي تحف بالمرء تخف وطأتها إذا تراءت له من أول الامر . وهي خداعة أكثر منها ظلامة (مع أن الاخطار لا تبرح مكانها لكن المرء هو الذي يسعى اليها) والواقع أن من أطال سهره أخذه النعاس ومن نام عن اخطاره أضحى في قبضتها .

فالنظر الى الامام حكمة أما الحزن مقدما فهو جهل وغباوة وأن تبنى من أمالك قصورا في الهواء خير من أن تقيم حول نفسك اسوارا وسجونا من الحيرة والارتباك وحبذا لو تحقق عند جميع الناس أن الاساءة الى الآخرين لا تزيد في سعادتهم شيئا وقد تعيث بها . وهذه الحقيقة جلية ظاهرة في أمر الصغار القاصرين فترى الاباء الحريصين على سعادة أبنائهم لا يعفونهم إذا أذنبوا بل يعاقبونهم . ورب قصاص هو الخلاص وعقاب هو الثواب .

أثر الدين في الاخلاق .

الاخلاق هي مدار الصلاح والخير والرقي والسعادة وهي حجر

الزاوية فى النجاح الفردى والاجتماعى وعلى أساس الاخلاق تبنى سعادة الافراد والامم والعكس بالعكس فالاخلاق تصون القوى الفكرية والجسمية للانسان وتبقيهما سليمة قوية تعينه على النجاح وهى تدرب القوى المعنوية عدا أنها تصون الوقت والمال من حياة الفساد والاستهتار .

والاخلاق عنصر حيوى فى حياة الافراد والامم .

قال نوفالين « تسألونى عن الاخلاق ، انما الاخلاق هى الارادة الموفقة التامة التكوين والارادة إذا تم تكوينها ثبتت على الزمن ودامت مع العمر فان الرجل الصادق العاقد النية على الخير متى مضى على عزمه وتشبث بحرارة لا يهمه مدح أو ذم ولم يحفل بكسب أو خسارة فى هذا المدار بل حسبه ارضاء ضميره بخدمة الحق والمروءة والانسانية كغاية ضرورية ونهائية فى قصد وجود الانسان الارض كما تطلبته الرغبة الموجدة أو الخالقة .

والارادة مجردة عن التوجيه هى الثبات والمثابرة والاستمرار لكن الارادة القوية اذا لم توجه للخير كانت لا محالة من أكبر عوامل الفساد والشر فهى فى صدور الجبابرة نار ملتهبة وحرية مطلقة .

الدين :

هو الاخلاق الفاضلة والحياة العملية بل هو الاساس لها لانه

يعطي فكرة عن قوة أعلى تراقب حركات الانسان وأفعاله وتسجلها عليه وتحاسبه عنها في هذا العالم أو في العالم الآخر ولما كان الانسان بطبيعته محب لذاته يود لها الخير ويسعى جهد الاستطاعة ليدرأ عنها كل أذى فانه محتاج لمنعه عن الشر الى رادع يردعه ويكبح جماحه .

والدين يرجع الرقابة والحساب الى قوة أعلى مفروض فيها أنها ترى كل شيء حتى ما يجري في الخفاء والخلوة تراقب حركات الانسان وسكناته في كل مكان وكل وقت مهما اجتهد الانسان أن يتكتم مقاصد شره بعيدا عن عين الرقباء وهذا ما لا يتوفر في الشرائع المدنية والقوانين الوطنية . والدين لهذا كان عاملا أقوى بكثير من تلك القوانين والشرائع على حفظ الاخلاق وصيانة الاداب .

ومما يؤديه الدين في سبيل المساعدة على تهذيب الاخلاق ورفع مستواها في الحياة البشرية هو أنه يسمو بالنفس الى ما فوق وبهذا يولد فيها روح الاحتقار للشهوات الدنيئة ونفورها منها . ويهمنا التقريب الفكرة وايضاحها أن أقوى عامل لتحريض النفس البشرية على تجنب رذيلة من الرذائل هو أن تشعر النفس بكراهية لتلك الرذيلة في ذاتها وأن تحس بشعور احتقار لها وأن تشعر بنفور واشمئزاز منها . وقد دل الاختبار على أن مجرد الاقتناع بنتائج الشر لا يكفي ما لم يكن مصحوبا بروح احتقار للشر ذاته ولو كانت معرفة النتائج تكفي وحدها لحجز النفس البشرية عن الشر لما أقدم انسان على القتل وهو يعلم أن جزاء القتل هو الاعدام ولما امتدت يد السارق للسرقة لانه يعلم أن أبواب السجون مفتوحة ليزج فيها اللصوص ولما عاشت نفس

عيشة اللهو والفساد والاستهتار والنـــاس يرون الفتائج المؤلمة تدور حولهم .

والسبب فى هـذا التصرف المعكوس أن الميل للشر عادة يسلب النفس ارادتها ويجعلها أمام سلطانه كالعبد الاسير ويزاد هذه العبودية والارادة المسلوبة بحس بأمر من اثنين عندما يثور الميل للشر . أما أن يصبح الانسان كالمجنون الذى لا يعقل فينفذ ميله الشرير ويشبع نفسه الثائرة غير عابىء بالنتائج مهما بلغت خطورتها وأما أن تبلغ به حدة الثورة النفسية الى حد يفقد تقديره للنتائج ويحتفظ برغبته فى اتقاء شرها وفى هذه الحالة يضطر حكم الارادة المسلوبة أن يشعر بالعجز عن المقاومة فيبدأ أن يخدع نفسه من خطط للوقاية والنجاة لا تنفع ولا تجدى .

ومجرد الخوف من النتائج لا يكفى لمنع الشر لان الاحســـاس باحتقار الشر فى ذاته والنفور منه كثيرا ما كانا كافيين بذاتهما لتوجيه الحياة فى سبيل الفضيلة .

ودل الاختبار أيضا أن من توفر فيه الاحساس بحقارة الشر فى ذاته لا يحتاج لمجهود لردعه عن الشر وتحذيره من نتائجه لكنه يسلك سبيل الخير برغبته ويعلل هذا بأنه مادامت النفس تحتقر الشر فهى بالطبيعة لا تميل اليه ومادامت النفس تكون مجردة من الميل الى الشر فالارادة فيها تبقى متينة وبذلك يكون الانتصار سهلا ميسورا .

وهناك سؤال مهم يقول وكيف يتولد الشعور باحتقار الشر فى النفس ؟

والجواب ينحصر فى مقابلة الشر بالخير ـ فالشر فى ذاته كريه ومافيه يدعو الى احتقاره بل واحتقار النفس التى تلتصق به وكل ما فى الشر من قبح وانحطاط تستره الاوهام الباطله التى تخلقها الشهوة الثائرة وينكشف القناع عنها فتظهر صورة الشر كما هى فى قبحها ورداءتها لذلك يجب أن تواجه النفس البشرية الخير فى صورته الجميلة الرائعة حتى بجانب هذه الصورة الجميلة يتضح لها الشر فى صورته المشوهة .

والنفس لا تستطيع مواجهـــة الخير فى صورته البهية إلا إذا تسامت وحلقت فى جو المبادىء الصالحة وانكشف لها أسرار تلك المبادىء فى صورها الكامله .

قيمة الانسان :

قال باسكال « مادورة الارض فى الفضاء على سعتها إلا شىء ضئيل بالنسبة لدورة الكواكب وما هذا الكون الا نقطة فى بحر الطبيعة المتفسح ومهما علا ظننا بعظم هذه الاكوان فالحقيقة أعظم وأكبر والطبيعة فضاء مستدير لا حد له مركزه كل بقعة ومحيطه أبعد من أن يوجد ببقعة فماذا يكون الانسان وسط هذا المشهد الهائل بيد أن هنالك مشهدا لا يقل عن هذا غرابة وعجبا ـ أعنى ما هو دون الانسان فلينظر الانسان الى أصغر ما يقع عليه بصره ـ الى النمله مثلا ـ أن لها بدين ورجلين وعروقا تسيل بالدم فيه كرائه وعناصره لعمرى أن من يسلم ذهنه لمثل هذه الافكار لجدير أن يصيبه الروع والوجل

لهول موقفه بين الغايتين غاية الضؤلة وغاية العظمة ولكن خالق هذه الاشياء يعرفها وليس أحد سواه .

القيام بالواجب :

ليست حياة الانسان مقصورة على ذاته انما هى له ولغيره ولا يوجد من ليس عليه واجب يؤديه غنيا كان أو فقيرا . والحياة قد تكون نعمة لهذا ونقمة لذاك على أن أولى البر والتقى لايرون الحياة هى التلذذ ولا هى اكتساب الفخر والذكر بل يرونها الجد والاجتهاد والعمل الصالح .

والاخلاق تتألف من واجبات صغيرة تؤدى بصدق وأمانة من قمع النفس عن الهوى وصدها عما يلذها الى مايلذ غيرها وتضحياتها فوائدها من أجل فوائد الغير .

ومن يعرف قيمة الواجب وخطورته لا يتوانى عن القيام به حتى يحققه بالفعل ويحوله الى العمل لان مجموع تلك الاعمال بعينها هى مجموع عاداتنا بل أخلاقنا .

وأحسن الواجبات ما أدى سرا ولم يطلع عليه انسان فان ذلك يكون اكرم واتقى وأبر وأوفى لا يشوبه زهو ولا يلحقه غرور ويكون صاحبه قد سار على سنة أمجد وأعلى وشريعة اشرف واسنى تقضى على أهلها باعتقاد أن المجتمع الانسانى حقا فى ذمة كل انسان ودينا فى رقبته مهما بعد المرء فى قضائه وان كل سيئة أو خطأ يأتيه أى فرد ما سيحاسبه عليه المجتمع يوما ما فيؤخذ به ويجزى عليه .

نعم قلما يكون طريق تنفيذ الواجب سهلا ممهدا لوجود موانع وعقبات كثيره به فكم من مبصر الطريق الرشد عاجز عن سلوكه وكم من سريع النظر الى الحق بطيء التقدم اليه وكم من لبيب مقصر وعالم غير عامل ـ لكن كل هذا لا يعوقنا عن تأدية الواجب علينا طالما كان واجبا ومهما كان شاقا وصعبا .

التواضع :

قال أحد الرجال الناجحين « انبغى أن تكون عظيما ؟ اذن فابدأ بأن تكون صغيرا ـ أتريد أن ترفع بناء عاليا وتشيد صرحا ساميا ؟ إذا فلتبدأ عملك بأساس من التواضع فانه بمقدار عمق الاساس تكون رفعة البناء والتواضع تاج الجمال واكليل الكمال » .

السيرة الداخليه :

من السهل أن يعرف من المرء حياته العلنية ولكن الذى لا يدرك ولا يطلع عليه هو حياته الباطنية ـ حياة روحه وضميره وأنه لفى طاقة المرء أن يكون بارا أو فاجرا اذ ليس فى قدرة أحد أن يقتل من امرىء ضميره وروحه وانما تقتل الروح نفسها وبذلك لو استطعنا أن نفيد أنفسنا وغيرنا لكنا إذن قد بلغنا المجهود وأدركنا غاية الطاقة .

الضمير :

حب القيام بالواجب أساسه الضمير . والضمير شيء معنوى

عرف منذ أول المدنية فقد قال (ميانذر) الشاعر اليونانى الذى عاش قبل المسيح بثلثمائة عام « ان لنا فى صدورنا آله اسمه الضمير »

والضمير هو الباعث القوى لعمل الخير دون طلب اللذة وموافقة الهوى والشهوة السفلى لانه معلوم أننا لم ندخل العالم لنتبع أهواءنا وننهمك فى لذاتنا لان هذا مذهب ذميم وخطة مرذولة ينكرها نظام العالم أجمع - بل ينبغى أن تخضع تلك الغرائز الثائرة فينا لسلطة الضمير فينقرض البؤس والفقر والمرض من الارض وتصعد الارض الى السماء بل تنزل السماء الى الارض .

وهو الدائم العام ، ولباب الشخصية منه يستمد الانسان ضبط النفس ومقاومة دواعى الشهوة وصدها فعلى كل فرد أن يقوى شخصيته ويجتهد أن يبصر طريق الحق فيسلكه لانه من الاليق أن يفعل ذلك وفيه العزيمة وخليق به أن يكون حقيقة سامية من أن يكون ظلا وصدى لغيره ومستودع العوائد الخبيثة والمصطلحات المرذولة المرفوضة .

والضمير لقبه بما تشاء فهو قوة هائلة يلقبها صمويل سميلز فى كتابه تأدية الواجب بالوحى أو الغريزة الدينية التى تظهر حينما نشعر بحرب تنشب فى داخلنا بين الغرائز العليا والغرائز السفلى أعنى بين الروح والمادة - بين الخير والشر لترجح الاولى على الثانية .

وتلك الغريزة الدينية التى لو تخرج عن شعور توجيهى فى الداخل هى بعينها كانت نبعا لكل ديانة ظهرت فى هذا الوجود وتوصل الانسان عن طريقها الى الاعتراف بوجود الله وبأن تلك القوة هى الممثل

الاول له فى الانسان بل هى حلقة الاتصال . ويقول كانون موزلى فى ذلك « انما بثبت الديانة على محاسبة النفس اذ يفضى المرء ببصره الى أعماق سريرته فيرى ما هنا لك من قتال بين الروح والمادة فيصبح من أمر نفسه على بينه ثم تفضى به معرفة نفسه الى معرفة خالقه وبذلك يميز المرء بين الحق والباطل ويظل بالخيار بين الخبيث والطيب ومن ثم تقع عليه المسؤولية والحساب .

شعور الانتصار :

قال جون استوارت « أنه مهما قوى علينا باعث الهوى فلا نزال نشعر بفضل قوتنا عليه وأنه لو شئنا أن نتغلب عليه لفعلنا . يجب أن نشعر بذلك والا لو شعرنا بغيره لنا لنا من ذلة وخزى ويأس من بلوغ الكمال قسطا كبيرا »

الانتصار .

لا يحرز المرء صفات الكمال حتى ينتصر على شيئين . الاول هواه والثانى تدخله فى شئون الغير بدون وجه حق .

طاعة القانون .

أن طاعة الانسان للقانون وعصيانه اياه أمر يرجع الى ارادته وعزمه

قال كوبار « لا حرية الا ما نيلت عن طريق الحق وكل حرية غير هذه فهى أسر »

العلم والاخلاق .

أن كثرة المعلومات والمعارف وحدها لا تهذب الاخلاق وتقومها ولا علاقة قط بين كثرة العلم وبين الصلاح والتقوى لانه كثيرا ما نرى العلم يفسد التواضع ويجعل الكبرياء مكانه وقد كان معظم معلمي الامم ومنهضي الشعوب من غير ذوي الرفعة في العلم والمكانة .

غرور العلم :

ويزعم الجيل الحاضر أن تقدمه ينحصر في تغوله في العلم الفلسفي العالي بل الكفري فحسب دون الالتفات الى علوم الفضيلة والنجاح لذلك لا نرى فيه حتى الان غير ما يملانا تبرما وشكا والحادا في مزاعمهم . الا ترى أهله شمخوا بانوفهم كبرا وسموا بابصارهم ترفعا فهم لا يعيشون في مستوى الناس بل في سماء موهومة من كبرياتهم يسخرون من فضائل السلف ومكارمهم من جد واجتهاد وورع وعفة ودين وتقوى وزهد وقصد ووفاء وحب ورحمة .

دين هؤلاء لا يثبت شيئا بل ينفي نفسه بنفسه ويبعث على احترام من هم على شاكلته فلا يؤمنون الا بانفسهم . انه شيء محزن ومؤلم حين نرى هؤلاء يقضون اعمارهم في مباحثات ومحاولات في تلك المسائل العظمى التي كان اباؤهم يؤمنون بها ايمانا ضمن لهم فضائل اليقين والبر والصلاح والتقوى .

العلم والفضيلة

وتكاد تنعدم الصلة بين الفضيلة والتعليم المدرسي لان ليس لتربية الذهن تأثير قوي في سلوك الانسان ولا للحقائق الملقاه في الذاكرة والمواعظ المصبوبة في الحافظة قدرة على قمع الشهوات الفاسدة والاميال الخبيثة لان ما الذهن الا الة تحركها عوامل مختلفة كالانفعالات والحزم والعزم وضبط النفس والخيال والتحمس ومعظم هذه تولدها الحياة المنزلية لا المدرسية .

ويقول افلاطون كاستاذه سقراط أن اركان الفضيلة أربعة ١- الحزم والعقل ٢- الشجاعة والثبات والصبر ٣- القصد والتبصر وضبط النفس ٤- العدل والصلاح . وكان يعد هذا التقسيم أساس فلسفته الادبية وكان يقول « دع الناس جميعا رغيهم ووضيعهم فقيرهم وغنيهم سعيدهم وشقيهم يؤدون الواجب ثم يقعدون بعد ذلك آمنين مطمئنين »

ويقول بونالد « أول دروس الحياة عادات لا حجج وبراهين ومثاليات لا معلومات ومعارف لان الامثلة الصالحة أجدى نفعا من خطب مسهبه وأحاديث معسولة مطولة لان تلك الامثلة توقع بالفعل والفعل أصعب من القول وأنجع الادوية أسرعها نفعا .

من هنا نعرف أن قوام الفضيلة هو العمل الصالح أما النية الطيبة لا تكفي بمفردها وقلما تأتي بانتاج مثمر ما لم تقرن بالتنفيذ السريع . والعمل النبيل خير أستاذ ومهذب والكسل يبلى النفس والضمير والجسد

ولعل تسعة أعشار ما بالناس من بؤس ومنكر انما أصله الكسل ولولا العمل ما كان ثمة تقدم ولا رقى .

على أن مدرسة الشدائد خير مدارس الاخلاق والمبادىء ومتى ضاقت الشدة والمحنة كان قراها عند العاقل الصبر والتسليم ويقول أرسطو أن السعادة تظهر بوضوح وجلاء فى النفس وقواها لا فى الامتعة والاشياء وأن مصارعة الشدائد يلوح لذتها فى اذلالها وقهرها بانتصار العزيمة وذلك يملأ القلب ثقة بالفوز ويدفع المرء الى اقتحام كل عقبة .

المعاملة

كان كونفوشيوس يعلم تلاميذه أن حسن المعاملة ثلاثة أرباع الحياة ويقول « خذ نفسك بالاستقامة وروضها على القصد وأعلم أنه اليقين والعفو والرحمة والاجتهاد والجد مدعاة لحب الناس ورضا الخالق وأن الوفاء والكرم والاخلاص والهمة والرأفة أركان الفضيلة »

الفشل سلم النجاح

الخيبة والفشل الذى يعترضنا فى جميع أطوار حياتنا قبل ادراك النجاح انما هو درجات السلم الذى نرتقيه بصعوبة وكد بينما أبصارنا تدفعها عزائمنا الى أعلى وانى أعتبر تلك المعثرات الكثيرة التى تخفق

الانسان فى الوصول عن طريقها الى غايته انما هى انتصارات فى ثياب هزائم ان ادرك المرء سبب تعثره وحسب حساب تقدمه .

ويقول أحد الكتاب اذا كان الجهاد فى تذليل الصعاب هو أول ملاذ الحياة فكم يكون انعام العمل ونجاحه فيه الا جبين الملاذ

وليس للنجاح من منبع سوى ميدان العمل والاصرار فى تنفيذه على الوجه الاكمل هو ما يعرف بالعزم المسيطر على الظروف والحوادث وهو مزيل الموانع الذى لا يوهن تقدمه الاكلمات السعد أو النحس النعيم أو الشقاء .

دين الجيل الحاضر :

وانى أرى الدين عند أكثرية ساحقة من الناس الفاظا تردد وحركات تكرر ومدح لغير أهله وشكراً لمن لا يستحقه . أرى جماعة يفعلون الصالح ويأتون بالمكرمات ويبلغون أسمى الرتب بالكلام والقول وما أسهل الكلام انه فن يحذقه قوم كثيرون — نعم ما أضعف العزائم وما أخور الهمم — ما أقل من يعيون قراآتهم من كتب الدين بل ما أوسع صفحات الدين المملوءة بمعانيه وما أضيق صفحات النفوس الجرداء منها .

وانه من شر ما يبتلى به المجتمع من المجتمعات أن تقرن الاخلاق فيه بأرذل وأدنأ الطبـــاع مقرونة بالذل والخنوع لذوى المناصب وبالجبروت والطغيان على الصغار الضعاف وظلم الضعيف منتهى الخسة والنذالة .

ويقول كاتب فرنسى شهير فى أهل هذا العصر أن قلة الاكتراث فى كل شىء هو دين الجيل الحاضر ولقد أصبح المال هو الحافض الرافع المعز المذل القادر على كل شىء وليس من كائن وشىء فى الوجود الا وتشتريه بالمال - الذمة والضمير والشرف والدين والرأى والرتب والمناصب والجاه والسلطة والاحترام والاجلال - كل هذه المفاخر أصبحت سلعة تباع وتشترى بالمال .

لقد كانت قبل ذلك أراء فلسفية ومذاهب كفرية حتى انتهت بظهورها فى مذهب قلة الاكتراث مذهب قبر الذهن وضريح الذمة والضمير الحى .

مركبات أخلاقية :

الصدق والامانه مركب طبيعى يجعل المرء عظيما فى كل ظروف حياته إذا استخدمه أمنه على حياته لأنه روح المبدأ وجوهر الشرف وعنصر الاستقلال الذاتى وهو أول شرط يستلزمه النجاح فى الحياة . ونحن فى هذا العصر أحوج الى الصدق منا الى غيره .

وعلى النقيض فالكذب على كثرة انتشاره مذموم حتى من الكذاب نفسه فتراه يحلف أنه لا يقول إلا الحق لعلمه أنه محمود - والكذب رغم أنه منافى للأمانة والصدق فانه أيضا يدل على الجبن .

ولماذا لا تجرىء نفسك على قول الصدق ولا داعى للكذب -

نحد من حولك جماعة الكذابين لانها ذئاب خاطفة تظهر فى ثوب حملان وديعة .

الكذب فى العمل أيضا كالكذب فى القول وكذابوا هذا النوع أيضا كثيرون فكل فرد فى المجتمع لا يقوم بعمله على الوجه الاكمل فهو كذاب والدليل القاطع على دناءته ونقصه أنه يروغ من الصدق ويستعمل الرياء والنفاق والمداهنة ـ أما الرجل المخلص فانه يقول كما يرى ويعتقد بما يريك أنه يعتقد ، ويعمل كما يريك ويفى بما يعد .

والكذب من أشنع الرذائل وأسهلها ارتكابا ـ وهو مهما تغوضى عنه وتسوح فيه فانه مكروه لدى كل طاهر نقى صالح تقى ، لان الاكاذيب وان ضؤلت انما هى وصمات تدنس القلب وتلوث الضمير وخير للقلوب أن تطهر من جميع الاكاذيب بدون نظر الى أنها أسود وأنها أكبر . قال أفلاطون « قل لمن يطلب الخير والسعادة أن يسمو الى مرتبة الصدق فهنالك ـ وليس دون ذلك الفوز والخير والسعادة »

الشجاعة الاخلاقية :

الشجاعة الاخلاقية من مقومات النفس فهى النزاهة وسلامة الضمير والاقدام لنصرة الحق على الباطل بالرغم من تكبد المشاق والمصاعب التى تعترض الحق دائما بل أنها تخرج الى الثبات والهمة أزاء الباطل وتلك صورة رائعة الجمال للفضيلة عنوانها جلد وحزم احتمال وبسالة صادقة .

وليست الشجاعة فى ميدان القتال فحسب بل كم من شجعان فى الدنيا يحاربون فى معارك الحياة جادين فى السعى للوصول الى مبتغاهم من غير مكانة ثم لا يصلون وكم من تدفعهم الحاجة فيتهالكون اليها ثم يعودون خاسرين فلا يلبثون أن تبرق لهم الآمال فيعيدوا الكرة مستبسلين .

فجندى الايمـــان لا يندفع بالاقدام الذى يندفع به جندى الحروب - لان الاول يضحى بنفسه فى سبيل مبدأة عالما أن هذه التضحية هى مفتاح ايمانه فى غير شهرة ولا طموح الى أمل غير شعورهم بانجاز واجبهم .

والخلاصة أن الفرص سانحة لفعل الخير لكل من يشاء والروح الجادة تجد سبيلها الى قلوب الخير والصبر يتغلب على كل الامور .

أعمال حسنة :

وهكذا توجد أنواع كثيرة من الاعمال الحسنة لايدركها الناس ولا تظهر جلية إلا أنها عظيمة ذات أثر طيب وربما وجدت بين الفقراء أكثر منها بين الاغنياء لان الفقراء وأبناء السبيل يعرفون مصائب أنفسهم فيعطفون على نظائرهم .

جحود وانكار :

انه من المؤكد أن يقابل الرجل الخير بالجحود والانكار ولكن

يجب ألا يكون هذا عاملا لا لتوانه والتبرم من مبادئه لان هذه احدى الصعوبات التي تقابل الانسان في الحياة .

المقاصد الشريفة العالية .

وخلاصة القول أنه ليست المادة هي القوة اللازمة ولا العقول الكبيرة هي القدرة الفعالة انما المبادىء السامية والمقاصد الشريفة العالية .

ويمكن للانسان أن يجاهد في الحياة بما في وسعه فيجعل لنفسه ولغيره من القيمة بقدر ما أعطى من القدرة فاذا لم تعارضه الظروف والموانع والعوائق كانت له السلطة المطلقة على حياته المادية والادبية .

الفصل السادس

obeikandl.com

الطبيعة في حياة الانسان

تأملات في الطبيعـــة :

يقول شتوبريان . ان محاسن الطبيعة انما تكون في قلب المرء ونفسه وانه لا يرى إلا ما يحس ويشعر به .

والواقع أننا نعيش وحولنا من محاسن الطبيعة ما يسحر الالباب ومن عجائب الكون ما يحير الاذهان وقل منا من يتمتع بها ما استطاع .

فالناس في أغلب الاحوال لا يرون إلا ما عساهم أن يكونوا في طلبه والبحث عنه . يرفعون أبصارهم الى السماء مثلا وقلما يكون ذلك منهم إلا تثبتا من حالة الجو من حيث الصحو والامطار .

وقد يتفق وجود الخمسة في حقل واحد فيأخذ الفلاح منهم يتأمل الزرع ونماءه ويؤمل غلة ومحصولا .

ويقف الجيولوجي وقفة بخيل ضاع في التراب خاتمة باحثا عن المحجرات (بقايا نباتيه وحيوانيه مدفونة في تربة رطبة) التي كم يمر عليها الزارع ولا يهتم بها .

ويشرع النباتي يتفرس الاعشاب والازهار مقابلا بين فصائلها وأنواعها . وينشأ المصور يتأمل تناسب ألوان النبـــات والافق

والصخور كأنه ينتقد رسما لرب الفن . ويطلق الصياد بردد الطرف ويحيله هنا وهناك معللا نفسه بالعودة متأهبا لمطاردة صيده .

وقال كمبل « حسن بنا أن نرسل رائد الفكر الى العالم العلوى - عالم المجد والجمال فاقول . وجميل بنا أن نتعرف محاسن هـذا العالم ونتمتع بها كما ينبغى . وقد ذهب البعض ومنهم فكتور هوجو الى أن تأثير الجمال فى النفس غالبا ما يجارى ما عسى أن يكون فيها من أثار الحزن والاسى والكآبة ومن قوله بهذا الصدد . كم نجد حتى فى حياة السعيد المحظوظ من الناس أن عوامل الفرح والابتهاج أضعف تأثيرا من عوامل الحزن والاسف . فاكفهرار وجه السماء وتستر البدر بحجاب الغيوم أجمل فى عين النفس من سناء باهر وشمس متألقة ساطعة وكأن اتشاح الطبيعة بثير الزاعى الرائع من أثوابها دليل على تزييها بزى نفوسنا وعلى محاولتهـا تعزيتنا ومشاطرتنا همومنا وانزاحنا . »

على أنى أرى أن هـذا الرأى ليس سليما وعندى أن الجمال الطبيعى يقوى الشعور ويشد أوتاره ويطيب النفس ويخفف الروح ويثلج الصدر . قالت مس جرج عن بعلها فى كتاب ضمنته تذكارات حياتهـا الزوجية .

ان ما يحدث بنـا عند مشاهدة المنظر الطبيعى الجميل أو سماع اللحن الشجى الرخيم أو تأمل الرسم أو التمثال البديع - انما هو ارتفاع الحجاب وتسرب شىء الى النفس يختمر مع ما فيها من لذة أو ألم وفرح أو حزن فيزيده ويضاعفه

ان الطبيعة أم حنون تلوح عليها أمارات الكدر وتحجب وجهها بغيوم وضباب فتظهر كأنها تشاطرنا أحزاننا وتغرها البسام ومحياها الصبوح فتقر عيوننا وتطيب نفوسنا وتدفعنا الى الامام وتوحى اليها بما يسمو بنا ويرفعنا الى عالم الجمال والكمال .

قال وردسورث . الطبيعه حبيبة لاتخفر ذمة القلب الذى يحبها ولا تشكك له صهدا وهى تجتاز بنا مراحل هذه الحياة من بهجة الى بهجة ولذة الى لذة وهى التى تزف الى العقل بنات الافكار وتنزل على النفس آيات الجمال والطمأنينة والسلام .

وفى الواقع إذا أخلصنا الحب للطبيعة وحاولنا أن نصرف بعض الوقت بين أحضانها لأمنا شر الناس ونجونا من عراقيل الحياة اليومية وبتنا نعتقد أن كل ما نراه حسن وجميل وأن الطبيعة والكون الذى نعيش فيه انما يفيض حسنا وجمالا وحسنات وبركات .

ويحق لمحبى الطبيعة وجمالها الا يعرفوا الكدر والسآمة - انهم يبتلون ويجربون ويصابون كغيرهم من الناس ولكنهم لايستسلمون للضجر والجمود والبطالة استسلاما يسهل معه « الاندفاع الى التمتع بلذة ساعة تعقبها ندامة سنين »

وحب الطبيعة أكبر عون على التنصل من حكم تلك المطالب والرغائب الدنيئة التى تعبث على حقارتها بالطمأنينة والسلام اللذين يتطلبهما العقل السليم والنفس الزكية .

ومع هذا فالطبيعة وبركاتها ليست نصيب نفر قليل من الناس

دون السواد الاعظم بل عامة تشمل محبيها وعشاقها كائنين من كانوا وهي تسبغ علينا أفكار البهجة ونعم القناعة والسلام العقلي .

هنيئا للعالم الطبيعي الذي درس أحوال الطبيعة واستطلع أسرارها فالشمس تشرق لتحييه والبدر يطلع ليناجيه والعصافير تغرد لتشجيه ير بالازهار ينادمها باسمائها فتبسم له ثغورها وتحدثه حديث تنويرها وتفتيحها . وبالاشجار فتسجد له أغصانها وترقص له أفنانها وتسرد على سمعه أنسابها وفصائلها وأنواعها .

يستقبل الفصول ويودعها كأنه يودع خلانا عرف أطوارهم وأخلاقهم فهي تمضي ويحفظ له منها تذكارات يقابلها بما تعود به في أدوارها وأوانها العام التالي . ولديك بعض النظرات لبعض العلماء الطبيعيون في محاسن الطبيعة .

يقول هرتون . « لا أعرف شيئا جمع الطهارة وروائع الجمال كجبل عظيم تصعد ثلجه وانعكست صورته في مرآة البحيرة المحاذية له ـ يميل الميزان وتنحدر الشمس من سمتها (رأسها) فتترامى ظلاله العجيبة وكأنك تشعر ببردها . ولا تلبث أن ترى الثلج الساطع البياض يختضب باحمرار لطيف باهت واذا بالجلد استحالت زرقته الى لون الحجر الكريم الاخضر اللون الذي يتولد في معدن الصفر (الذهب) وما هي إلا دقائق فتزول هذه الروائع زوال كل جمال أما تأثيرها فينطبع على المخيلة ويختم عليه بخاتم الجمال .

أما وليس فيقول أن أكثر ما يروقه ويلذه من محاسن الطبيعة

وأشدها تأثيرا فى نفسه ما كان من قبيل جمال اللون سواء كان فى الجمادات أو فى ذوات الحياة .

فزرقة الجلد فى رائعة النهار وزهاء الشفق وقت المغيب وطهارة الثلوج على الاودية - هذه بنابيع بهجة وموارد مسرة لكل ذى عينين تبصران وما هذه إلا راويز (صور) على محراب الطبيعة المعشوقة المعبودة - تتغير ألوانها وتتحول من جميل الى أجمل ورائع الى أروع منه .

أما ونردن دى سانت بيير فى وصفه ليلة يقول « كانت ليلة نقمر مثلها - وانى لريشة المصورين تمثيل لطفها وجمالها . أما البدر فكان يتهادى فى عرض السماء فى موكب من النجوم الزاهرة ويتخذ من الغيوم براقع وبحر من السحاب ذيولا وكان ضوءه يتراءى بلطف الظلال على مناكب الجبال وعلى أقدامها المزدانة بالخضرة المنعشة وأما الريح فكانت بمسكة أنفاسها تتسارى بمثل أجنحة الملائكة التى تحيف بوجه الطفل وتلامسه ولا تسمح لها الام حفيفا . وكانت تنقل الينا تضاحك العصافير وتناغيها وهى تتهامس وتتداعب آمنة مطمئنة البال وكأنها أدركت قصر العمر وعرفت قيمة جمال الليلة القمراء فأبت إلا اغتنام الفرصة وآثرت حياة السهر على موت النوم وحتى الحشرات كانت تتحرك خلال النبات ساهدة مؤرقة . أما النجوم فكانت عيونا يواقظ يبصر بها الناظرون حسن جمالها وجمال خيالها المنعكس فى مرآة البحر .

ويقول ايزاك والتن . اذا طلبت الارتياح الى الوجود واستزادة

تثق فى قدرة العناية الالهية وحكمتهـــا خرجت الى المروج الجاذبة لضفاف الجداول الفضية وانشأت أتأمل الزنابق العائمة بدون هم أو اهتمام وأراقب المخلوقات الصغيرة التى تخلق فتطعم وتقات بيد الله الطبيعة الكريم الجواد . ويتحدث عن البحيرات فيقول .

البحيرات مواطن راحة واطمئنان وهدوء وسكون بخلاف البحار والانهار فقد يسجو البحر أحيانا ولكنه لا يلبث أن تتلاطم لجته وتتضارب أمواجه وقد تمر بالنهر مطمئنا هادئا فلا تكاد تعلم اتجاه مجراه ولكن استمر قليلا واذا بك تراه متحركا بعد السكون ومرغيا مزبدا بعد الجمود فكأنه مستيقظ من رقاد ومستبدل السلام بالجهاد أما البحيرات فقلما تغشاها إلا مستغرقه فى نومها مستطيبة أحلامها .

ومن الناس من يقفون على البحر يتأملون معجبين ومنهم من لا يقضون من البحر طرا إلا إذا مخروا أمواجه وأمعنوا فى عبابه ومنهم من يحبونه واقفين على أقدامه وذاهبين آئبين فى صدره (وللناس فيما يعشقون مذاهب) .

البحر يبارى الزمان فى دوامه ويطاول الخلود فى بقائه . تمر الوف الاعوام وعشرات الالوف والملايين وهو فى يومه كما هو فى أمسه وغده تتقلب الجبال أودية والاودية جبالا ويتحول التراب شجرا والشجر ترابا والبحر بحرا لا يتحول ولا يتغير .

الطبيعة فى الجبال أطلق يدا واطلق محيا وأطهر قلبا مما نعهدها فى سائر مواطنها هنالك تتدفق الانهار وتسجو البحيرات وتزهو الثلوج

وتهتز جبال الجليد وهنالك يطلق النسيم أنفاسه العذاب وتتعانق الذرى والسحاب .

للخريف والشتاء مناظرهما . أما الخريف فهو ظلام على الجبال وأكفهرار على التلال أشهره تهب الزوبعة ويثير الاعصار على الحقول وتتدفق الانهار مكدة فوق السهول وتتلاعب الرياح بأوراق الاشجار وتنثرها فوق الرموس والاجداث .

والماء اذا نحن ذكرناه فى الغيم والسحاب والغمام والضباب وفى هتدام الصخور وتلطيف أشكالها بعد ضخامتها وخشونتها وفى الثلج الذى تتشح به الجبال ثوبا من النور الساطع وفى زبد اللجج وقطرات الندى وفى البحر الزاخر والبحيرة الساجيه والنهر المتدفق والجدول المترقرق فاذا عسانا أن نصمو أو لا نشعر به وماذا عسانا أن نصف إلا أننا فى محاولة وصفه كمن يحاول رسم الروح . (روسكن)

أما الغيوم فلم يدع خيال الانسان شكلا الا تمثله فكم تراءت له وتخيلها سلاسل جبال محلقة فى الفضاء أو مدنا معلقة فى الهواء أو لججا تتلاعب بها الانواء بل طيورا سارحه فى الجو وقطعانا متشتته فى الجلد ووحوشا بين الارض والسماء .

أما فضل الشمس علينا . فليس لانها مصدر نورنا وتارنا فقط بل هى محور نظامنا السيارى ومصدر حياتنا أيضا فهى التى تبخر مياه البحر وترفعها غيوما فى الجو وتنزلها أمطارا على الارض حيث تجرى جداولا وأنهارا . تروى زرعنا وتنمى أغراسنا . وتثير الرياح

وتهيج الانواء فتطهر الهواء وتنقيه وتزجي السفن والمراكب في عبابه المحيط وهي التي تجر المركبات وتدير الآلات وما الفحم الحجري إلا حرارة نورها المدخر منذ قديم الدهر لتنتفع به العصور المتأخرة. فالحيوانات تعيش بحرارتها والاطيار تغرد بانوارها وتسبح تسبيحا بحرارتها وأنوارها. يبزغ النبات وتنمو الاشجار وتزهو الازهار وتنضج الاشجار فنحن مديونون للشمس بما كلنا ومشربنا وملبسنا وهي علة وجودنا على هذه الارض .

عدل الطبيعة :

الطبيعة لم تخص النظر وحده بالمتعة واللذة بل قسمت لسائر الحواس نصيبا وافرا . فللسمع مثلا ما هنالك من أصوات تشنف الآذان وتطربها من كل جميل بحد ذاته أو بما يذكر به من محبوب أو مألوف كزقزقة العصفور ونواح الحمام ودمدمة النحل وحفيف الاوراق وترقرق الماء وهنا لك الوف من النغمات المطربة والشجية توقعها الطبيعة على أوتار خفيفة لتسر أبناءها وعشاقها أبر الابناء وأسعد العاشقين وهكذا بقية الحواس .

النوم في حياة الانسان :

النوم من البركات التي أنعمت بها الطبيعة على الانسان وعلى الحيوان على السواء . وهو الستر يسدل على الافكار والهواجس والوساوس . وكالطعام يخمد ثائرة الجوع . وكالشراب يروي الغليل ويغشى الصديان ويرد رمق الظمآن .

لماذا ننام يا ترى ؟ النخسر ثلث العمر فى حالة عدم الشعور ؟ .

قال السر توماس برون أننا نعيش نصف أيامنا فى ظل الارض وأخو الموت يسلبنا ثلث العمر . والجواب هو أنه لا بد للجسم من الراحة ولكن هذا الجواب ناقص لان الدماغ مركز العقل لا ينام كسائر أعضاء الجسم وتظل الافكار خاطرة سانحه ذاهبة آتية طليقة من سلطة الارادة وأحكامها ولكن مع أن العقل لا ينام فكلنا يعلم كيف يجدد النوم قوة الانسان وينعشه وينشطه .

ان بعض الحيوانات تنام ولكن كثيرا منها نهاره ليله وليله نهاره

فالحياة فى عالم الحيوان جهاد وعناء وتنازع بقاء وحرب الاسنه فيها أنياب والنضال مخالب وبراثن وفيها أسلحة وطرق حربية أخرى دفاعية وهجومية .

تأملات فى عالم الحيوان

النمل :

هل تعلم أن عدد الجماعة منها تقدر بنحو ٥٠٠٠٠٠ أو يزيد وهل تعلم أنه يستحيل أن يختصم نملتان من جماعة واحدة وفى ذلك عظمة لابناء الوطن الواحد من بنى الانسان .

وهل تعلم أن نمال قرية ما تنكر نمال أى قرية أخرى ولو كانت من فصيلتها — وهذه غاية التعصب للوطن والغيرة على أفراده . فالوطنية وحفظ الوداد عند النمل طبيعة غريزية لا تمحى .

وقد اتضح أن نمال القرية الواحدة يتعارفن ويتميزن فيما بينهن حتى عند عدم استطاعة ابداء العلامة أو كلمة السر .

يستفاد من هذا أن النمل شديد العطف بعضه على بعض وانه ذو « انسانية » بقدر ما عنده من الغيرة والمروءة اللتين يدعيهما الانسان لنفسه فقط . ويقال أن الذئاب اذا مرض أحدها تطارده رفاقه وربما قتلته وافترسته . أما النملة فليست على شيء من خيانة الذئب وغدره حتى برفيقه .

النملة لا تستطيع أن ترسل صاحبتها حيث تريد ولكنها تستصحبها وتذهب بها الى المكان المقصود ولا يخفى ما بين الامرين من عظيم الفرق في نظر من يريد تقدير ما للحشرات من الفطنة والفهم ولاحظ هو بر العالم الطبيعي أن في النمل سيدا ومسودا وخادما ومخدوما فاذا أرادت طائفة من النمل المستعبد الانتقال من مكان الى آخر كان هنالك أمات يحملن سيداتهن ويذهبن بهن حيث شئن — على أن اتكال بعض النمل على عبيده بلغ منه مبلغ أنه يقدم له الطعام فلا يمسه ويظل على جوعه الى أن تأتي عبيده وتطعمه .

وقد تجد في قرية النمل أحيانا هوام أصغر منه وأقل ادراكا ونسبتها اليه كنسبة الحيوانات التي استخدمها الانسان وسماها اليفه وداجنة الى الانسان . فبعض فصائله يستخدم الهوام المعروفة بالافيد وتكون له كالبقر ولكنها بقر « تدر لبنا وعسلا » فان المادة التي تفرزها رطبة كالندى وحلوة كالشهد . والنمل خلق حكيم ينظر الى

الاعلام ويحسب للمستقبل . فهو يحمى هذه الحيوانات ويشجع بينها فى الخريف استعدادا للربيع الثانى .

حول عالم الحيوانات :

كثيرا ما يحسد الناس الحيوانات على حريتها وانطلاقها بدون قيود أو سلاسل شرائع وقد قال روسكن .

السمكة أطلق حرية من الانسان أما الذبابة فهى الحرية متجسدة فى جثمان أسود .

وأى لفظ أعذب على اللسان من الحرية وأى معنى آخذ بمجامع النفس من معناها ؟ لكن أرى أن كلام روسكن فيه شىء من المغالاة فصحيح أن صغار العجماوات تلهو وتلعب ولكن كبارها تهتم للحياة وتحسب للموت عن طريق الجوع الف حساب انظر الى بعض أسراب الطير تجدها اتخذت لها من الحدائق والمزارع مواطن لا تتخلى عنها ولا تفارقها الا مكرهة مغلوبة على أمرها حتى لقد يخيل لك أنها تعرف ماهية الحقوق الشخصية وواجب الدفاع والذود عنها وهى من حيث الواجبات مقيدة تقيد العامل فى معمله . والكاتب فى ديوانه بل أنها عرضة لخواطر ومخاوف نحن فى مأمن منها ومحفوفة بمهالك من حبائل وأشراك قلما ينصب لنا مثلها .

فعلام التمادى فى حسد تلك المخلوقات اللطيفة الضعيفة .

وكم تتغنى بحرية الظباء الطليقة السارحة الهائمة من هواها فى كل

واد . فلا يذهبن عنا أن لفتات الظبي انما هي لفتات الخائف الذعور وان كانت أشبه شيء بنظرات الحور وان نفوره منا هو نفور الرهب والرهب لا تباعد الدلال كما يتوهم الشعراء .

إذا حلقت معي على جناح الفكر في سماء الغابات وأرسلت طرف الخيال الى ما دونك من الاشجار الباسقة والخمائل الفضة وجعلت تراقب ذهاب ذوات الاربع وايابها ذوات الجناح ورواح الهوام وغدو الحشرات كل في حاجته وسبيله - تخيل لك أن الطبيعة آدبة مأدبة ومقيمة وليمة تغنى فيها الاطيار وترقص الاغصان ويطرب الجميع . وما قولك في خلق من مبادئه الاستعداد الدائم لمجاراة الصديق ومقاومة العدو والعمل للحاضر وكف النظر عن الماضي ورفضه دون الغد ، وقاعدته الذهبية « من لا يحصل قوته بيده فلا قوت له » ان خلقا هذه مبادئه حق له ألا تبرح السعادة أوطانه وأن تكون هي ضياء ليله وسناء نهاره .

* * *

الآن أيها القارىء العزيز وقد تصفحت هذا الموجز الاخلاقي في النجاح فلا بد أن تكون قد أعددت العدة ومهدت لعقلك مبدأ الوصول الى الحرية وادراك الارادة الموفقة وتنميتها بانهاض النفس وقيادتها وبعد ذلك يمكنك اشباعها بمتع الحياة الفاضلة في ظل الاخلاق العالية الناجحة .

ترقب ظهور الكتاب الثانى للمؤلف والمقدم فى
مسابقة مجمع فؤاد الأول للغة العربية لسنة ١٩٥٠
بحث رفيع فى الاخلاق
تحت عنوان

تهذيب وتنمية الأخلاق فى

عيد الله البحت

obeikandl.com